الفصل الثالث عشر

الفية المساواة (٣)

القول بتجديد العماد

لقد ترافق الاصلاح اللوثري (ص ٢٥٢) ببعض الظواهر التي مع انها روعت لوثر وجماعته كانت طبيعية لدرجة انها تبدو عند تأمل الأحداث الماضية كان لا مفر منها ، وكمعارضين لسلطة كنيسة روما احتكم الاصلاحيون الى نص الكتاب المقدس ، ولكن ما أن اعتاد الناس قراءة الكتاب المقدس بأنفسهم حتى بدأوا يفسرونه لانفسهم ، ولم يتوافق تفسيرهم دائما مع تفسير الاصلاحيين ، وحيثما امتد تأثير لوثر كان الكاهن يفقد كثيرا من مقامه كوسيط بين عامة الناس والرب وكمرشد روحي الزامي ، ولكن ما أن بدأ الرجل العامي بالشعور بأنه هو نفسه يقف وجها لوجه مع الله وأنه يعتمد من الارشاد على ضمير الفردي ، كان لامفر من أن بعض العامة سيدعون تلقينا الهيا يعاكس بالقدر نفسه كلا من الأصولية الجديدة والقديمة.

وفوق كل شيء قوى الاصلاح اللوثري شدة واتساع انتشار الاثارة ، التي ساعدت على قيامه وكانت هذه نتيجة لا مفر منها ما أن تحدى الاصلاح صلاحية وسلطة الكنيسة التي كانت حتى حينه الوحيدة في الغرب ، وحتى ذلك الحين كان الناس يقبلون ـ اجمالا بلا ادنى شك أو تردد ـ التفسير المترابط منطقيا للكون ولطبيعة الانسان الذي قدمته كنيسة روما ، وقد قدم المذهب الكاثوليكي صورة غير متبدلة ، تعود ضمنها كل المسيحيون على تكييف انفسهم ، كما أن المنظمة الاكليروسية الكاثوليكية قد وفرت نظاما للسلطة اعتادوا الاعتماد عليه و يمضي النقد الذي كان ابدا موجها

ضد الكهنوت المنحل و الدنيوي ، و الاحتجاج العنيف الذي أثاره الانشقاق الكبير ليظهر حجم مطالب الناس من الكنيسة ، ولقرون عديدة كانت كنيسة روما أيا كانت عيوبها تنجز عملا هاما جدا ومعياريا في المجتمع الأوروبي ، وقد أوقع هجوم لوثر الضاري ـ بالضبط لأنه كان فعالا ـ الاضطراب بهذا العمل، وكنتيجة فقد أوجد الى جانب الشعور بالتحرر شعورا بالتشويش كان منتشرا بالاتساع نفسه تماما(ص ٢٥٣) ، وعلاوة على ذلك لم يتمكن الاصلاح اللوثري في ذاته من السيطرة على كل القلق الذي أطلقه بين السكان ، جزئيا بسبب محتوى مذهبه للخلاص ، وجزئيا بسبب تحالفه مع السلطات المدنية القائمة ، وأخفق لوثر في الاحتفاظ بولاء الجماهير الغفيرة من عامة الناس ، وتنامى هناك بين الجماهير القلقة المشوشة ، في معارضة لكل من اللوثرية والكاثوليكية الرومانية بالحركة التي أعطاها خصومها اسم القبول بتجديد العماد ، وهي بطرق مختلفة خليفة لطوائف العصور الوسطى ، ولكنها أكبر منها بكثير.

والقول بتجديد العماد لم يكن حركة متجانسة ولم يكن أبدا منظما مركزيا فقد وجد حوالي أربعين طائفة مستقلة من القائلين بتجديد العماد ، تجمعت كل منها حول قائدادعى بأنه نبي ملهم من السماء أو رسول ، وتبعثرت هذه الزمر التي كانت سرية ومهددة دائما بالابادة في طول الأراضي الناطقة بالألمانية وعرضها وقد تطورت على خطوط منفصلة وضعها مختلف القادة ، ومع ذلك كانت بعض الميول عامة وشائعة ضمن الحركة ككل ، وبشكل عام علق القائلون بتجديد العماد أهمية صغيرة نسبيا سواء على التأملات اللاهوتية أو الالتزامات الدينية الرسمية والطقوس ، وبدلا من أنواع من الممارسات مثل الذهاب الى الكنيسة وضعوا نظاما شديد التفصيل ، ومع تقيد حرفي بقواعد السلوك والتعاليم والأوامر التي اعتقدوا أنهم وجدوها في العهد الجديد ، وبدلا من اللاهوت قاموا باغناء الكتاب المقدس ، الذي كيفما كانوا قادرين على تفسيره في ضوء الالهام المباشر ، اعتقدوا أنهم تلقوه من الرب ، وكانت قيمهم

في المقام الأول أخلاقية ، وبالنسبة لهم كان الدين فوق كل شيء مسألة محبة أخوية فعالة ، وتكيفت مجتمعاتهم طبقا لما افترضوا أنه كان ممارسة الكنيسة القديمة ، وكانوا ميالين الى تحقيق المثل الاخلاقية التي اقترحها المسيح.

وكانت مواقفهم الاجتماعية هي الأكثر خصوصية وتمييزا للقائلين بتجديد العماد،ومال أعضاء هذ الطوائف إلى القلق بشأن الملكية الخاصة وقبول شيوع ملكية الأشياء على أنها مثالية ، وإذا بذلت في اغلب المجموعات محاولة صغيرة لادخال الملكية المشتركة ، فإن القائلين بتجديد قد أخذوا بجدية التزامات الأعمال الخيرية ، و المعونات السخية المشتركة ، و من جانب أخر غالبا ما ابدت طوائف القائلين بتجديد العماد انغلاقا ملحوظا ، وكان ضمن كل مجموعة هناك تماسك عظيم ، ولكن الموقف تجاه المجتمع الكبير كان يميل الى الرفض ، وبشكل خاص ، نظر القائلون بتجديد العماد للدولة بشك ، على أنها مؤسسة مع أنها بلا شك ضرورية للأشرارا انها غير ضرورية للمسيحيين الحقيقيين ، وكانوا يعنون بذلك انفسهم ، ومع أنهم كانوا مستجيبين في الاذعان للمطالب الكثيرة للدولة ، فإنهم رفضوا السماح لها بغزو عالم العقيدة والضمير ، وبشكل عام كانوا يفضلون الحد من تعاملهم معها ، ورفض اغلب القائلين بتجديد العماد (ص ٢٥٤) الاحتفاظ بمناصب رسمية في الدولة ، أو التماس سلطة الدولة ضد تابع من القائلين بتجديد العماد أو حمل السلاح نيابة عن الدولة. وكان الموقف تجاه الاشخاص الطبيعيين ممن لم يكونوا من القائلين بتجديد العماد متحفظا بالدرجة نفسها ،و قد تجنب القائلون بتجديد العماد عامة كل اتصال أو تعامل خارج جماعتهم ، وكان هؤلاء الناس يعتبرون انفسهم النخبة الوحيدة و أن جماعتهم وحدها ، تحت التوجيه المباشر للرب : جزرا صغيرة من الصالحين في محيط من الشر والخطيئة ، وحتى لوثر سلم بأن الكاثوليكي الروماني يمكن أن ينجو ،و لكن بالنسبة للقائل بتجديد العماد كان اللوثريون والكاثوليك على السواء أسوأ من الترك ، ممثلين

حقيقيين للمسيح الدجال ، وكانت ممارسة تجديد العماد التي اشتق منها اسم الطائفة فوق كل شيء وسيلة للتعبير الرمزي عن هذا الانفصال الطوعي عن العالم غير المحرر.ولكن حتى بين القائلين بتجديد العماد انفسهم كان يسود استحواذ الانتخاب المحصور نفسه ، وتاريخ الحركة متقطع بفعل الانشقاقات.

وامتدت الحركة من سويسرا الى المانيا في السنوات التي تلت حرب الفلاحين ، و كان معظم القائلين بتجديد العماد اناسا مسالمين على استعداد عملي دائم ـ الا في الأمور المتعالقة بالضمير والعقيدة ـ لاحترام سلطة الدولة.

وبالتأكيد لم يكن لدى الأغلبية فكرة عن الثورة الاجتماعية ولكن مختلف المراتب من افراد الطائفة كانوا يجندون كليا تقريبا من الفلاحين و الحرفيين و بعد حرب الفلاحين كانت السلطات في خوف يائس من تلك الطبقات ، و حتى اكثر القائلين بتجديد العماد مسالمة كانوا يضطهدون بقسوة وقتل الآلاف المؤلفة منهم ، وقد أوجد هذا الاضطهاد في النهاية الخطر نفسه الذي كان يراد ابداله ، ولم يكتف القائلون بتجديد العماد بالثبات في عدائهم للدولة والنظام القائم ، بل قاموا بتأويل معاناتهم بتعابير رؤوية ، على أنها آخر هجوم للشيطان والمسيح الدجال ضد القديسين . وكمحنة مسائحية « تدل على الألفية » ، وقد استحوذ على العديد من القائلين بتجديد العماد تصورات ليوم الحساب حيث يقومون هم انفسهم لإسقاط الجبار ، وبقيادة المسيح،الذي عاد اخيرا،يقيمون الفية على الأرض ، وشابهت الآن الحالة ضمن حركات الهرطقة في قرون سالفة وثابرت كتلة حركة القائلين بتجديد العاماد على اتباع تقاليد المسالمة والعزلة المتزمتة التي كانت ممثلة في قرون سالفة في الوالد نيسين ، ولكن الى جانب ذلك كان هناك تنام لفكرة من نوع آخر لتجديد العماد ، وجدت فيها تقاليد الألفية المناضلة ، المساوية لها في القدم ، تعبيرا جديدا.

وكان أول الدعاة لهذه الفكرة الجديدة لتجديد العماد مجلد كتب متجول يدعى هانز هت ، وهو تابع وحواري سالف لمونتزر ومن أهل ثورنجيا مثله ، وادعى هذا الرجل بأنه نبي مرسل من الرب وانه (ص ٢٥٥) في أسبوع العنصرة لعام ١٥٢٨ ، سيعود المسيح الى الأرض ، وسيضع سيف العدالة ذا الحدين في أيدي القديسين مجددي العماد ، وسيقوم القديسون بمحاسبة الكهنة ورعاة الأبرشيات من القسس على تعاليمهم الزائفة وسيقومون فوق كل شيء أيضا بمحاسبة كل عظماء الأرض بسبب عمل الاضطهاد ، وسيصفد الملول والنبلاء بالسلاسل ، واخيرا سيقيم المسيح الألفية التي ستتميز على مايبدو بالحب الحر والملكية المشتركة للأشياء ، وقد قبض على هت في ١٥٢٧ وسجن في اوغسبرغ حيث توفي أو قتل في السجن ، ولكن ليس قبل ان يكسب بعض المتحولين الى العقيدة في مدن جنوب المانيا ويتعرف المرء في فحوى ايمان اتباع هت الى عقائد جون بول والطابوريين المتطرفين فالتطابق و التكرار كلمة كلمة تقريبا حيث نجد « ان المسيح سيعطي السيف ، وسينتقم لهم ، وسيتولى القائلين بتجديد العماد انزال العقوبات على كل الخطايا ، وسحق كل الحكومات ، واشاعة كل الممتلكات وذبح كل الذين لايسمحون لأنفسهم بتجديد العماد » ومرة اخرى : « ان الحكومة لاتعامل فقراء الناس كما يجب لهم بالانتقام فانهم يرغبون في المعاقبة ومحو الشر ...» واذا كان هت نفسه قد توقع ان يحدث ذلك كله فقط عندما « يأتي المسيح على السحاب » فليس كل حواريه كانوا بهذا الصبر : ففي ايسلنغن على النيكار بدأ ان القائلين بتجديد العمار خططوا في ١٥٢٨ لإقامة مملكة الرب بقوة السلاح ، وبين هؤلاء المناضلين الألفيين كانت مثل الملكية المشتركة تملك بوضوح دلالة ثورية وكان لذلك بلا شك بعض التسويغ عندما حذرت سلطات المدينة في نورمبرغ سلطات الم من ان القائلين بتجديد العماد كانوا يرمون الى اسقاط النظام القائم والغاء الملكية الخاصة .

وصحيح انه في جنوب المانيا بقي القائلون بتجديد العماد قوة

صغيرة ، غير فعالة وانها قد سحقت وازيلت من الوجود بحلول ١٥٣٠ ، ولكن بعد ذلك بسنوات قليلة ظهرت في اماكن اخرى في هولندا واقصى الشمال الغربي من المانيا وفي هذه المرة بنتائج شدت انتباه اوروبا .

وكان شمال غرب المانيا في بداية القرن السادس عشر يتألف في الأساس من عدد من الولايات الأكليروسية الصغيرة ، لكل منها امير اسقف كحاكم ، وكانت كل امارة - كما جرت العادة - منها ممزقة بصراعات اجتماعية ضارية ، وكان حكم الولاية في ايدي الأمير الأسقف وجماعة الأبرشية من الكهنة ، الذين ينتخبون ويتحكمون في سياسته الى مدى بعيد .

وكان أعضاء الادارة الكنسية - يجندون فقط من الارستقراطية المحلية ، وكانت المؤهلات اللازمة هي عادة شعار النبالة مع سابغة مؤلفة على الأقل من أربعة أقسام ، وكثيرا ماكانوا يختارون واحدا من أعضائهم كأسقف ، وهذه المجموعة من الأكليروس الأرستقراطي لم تكن تخضع لأي سيطرة من أي سلطة أعلى ، وفي المجلس التشريعي الاقليمي كانوا يمثلون بقوة (ص ٢٥٦) وكان بإمكانهم دائما الاعتماد على تأييد ودعم الفرسان ، ولذلك كانوا يميلون للحكم فقط لمصلحة طبقتهم وكهنة الأسقفية ، وفي ولاية اكليروسية لم يكن عدد الكهنة كبير جدا فحسب - في مقر أسقفية مونستر كان هناك نحوا من ثلاثين مركزا اكليروسيا ، بينها أربعة أديرة ، وسبعة مجمعات للراهبات ، وعشر كنائس وكاتدرائية ثم المجمع الكهنوتي نفسه بالطبع - بل كانوا أيضا يتمتعون بمزايا عالية ، وكان أعضاء المجمع الكهنوتي يتمتعون بأوقاف غنية ، وكان يسمح للرهبان بمزاولة المهن اليدوية والتجارة المدنية ، وفوق كل شيء كان الأكليروس ككل معفى بالكلية تقريبا من الضرائب .

ولكن نادرا ما كانت سلطة الطبقة الكهنوتية الارستقراطية في ولاية اكليروسية تمتد بفعالية كبيرة إلى المدينة العاصمة ، وفي هذه

الولايات كما في كل مكان آخر كان تطور التجارة والاقتصاد المالي يعطي المدن أهمية أكبر وكانت حكومات الولايات في حاجة دائمة للمال ، وبالطريقة المعتادة للمساومة على الضرائب كانت المدن تكسب مزايا وامتيازات لنفسها ، وفي أكبر وأهم الولايات الأكليروسية ، مقر أسقفية مونستر ، كان هذا صحيحا بشكل خاص ، ومنذ بداية القرن الرابع عشر كانت مدينة مونستر تتمتع بدرجة كبيرة من الحكم الذاتي ، وباتت سلطة الأسقف ـ الذي نادرا ماكان يقيم هناك ـ محصورة جدا .

ولم يكن هذا بالطبع يعني أن سكان المدن كانوا راضين عن المزايا التي حصلوا عليها ، وكان الأسقف وجماعة الكهنة عادة لايتمتعون بأي احترام ديني من أي نوع ، وهذا ليس مدهشا ، طالما انهم كانوا يحيون حياة مترفة ودنيوية صرفة وكثيرا ـ كما في مونستر في ١٥٣٠ ـ ما كان الأسقف ببساطة سيدا مدنيا غالبا ما كان حتى غير مرسما ، وفوق ذلك كانت الضرائب المفروضة من قبل الأمير الأسقف عادة ثقيلة وكان العبء كله يقع على العامة ، الذين كان انتفاعهم بالادارة اقل ، وإضافة إلى ذلك كان على الولاية الاكليروسية أن تدفع مبالغ كبيرة إلى الادارة البابوية في روما في كل مرة ينتخب فيها أسقف جديد ، وقد فعلت مونستر ذلك ثلاث مرات بين ١٤٩٨ و ١٥٢٢ ، وليس مدهشا أن مناعة الكهنوت على الضرائب كانت موضع استياء مرير ، وكان التجار والحرفيون أيضا يعترضون على منافسة الرهبان الذين اشتغلوا بالتجارة والصناعة ، ولم تكن لديهم عائلات للاعالة ولايؤدون الخدمة العسكرية ، أو يمدونها بما تحتاج ، وليس أمامهم انظمة نقابية يتقيدون بها ، وكل المزايا والمنافع من جانبهم .

وبحلول القرن السادس عشر لم يكن مركز مقاومة سلطة الأسقف والمجلس الكهنوتي يقع عادة في مجلس المدينة ، الذي أصبح هيئة رصينة ومحافظة نسبيا ، بل في النقابات وكانت هذه هي الحالة في مونستر بالتأكيد . حيث أصبحت المدينة على مدى القرن الخامس

عشر مركزا تجاريا هاما أو عضوا في العصبة الهانسية (ص ٢٥٧) واحرزت النقابات سلطة سياسية عظيمة . وبتنظيمها في نقابة كبيرة كان لها في القرن السادس عشر ما لايقل عن ستة عشر فرعا نقابيا مستقلا ، وكان باستطاعتها في الفرصة المناسبة أن تهب لقيادة كل السكان ضد الأكليروس . وقد توفرت إحدى هذه الفرص بوساطة حرب الفلاحين . وانها لحقيقة مذهلة انه عندما انتشرت الاثارة الثورية من جنوب المانيا وبلغت الشمال الغربي ، لم يكن لاالفلاحون ولا المدن في الولايات المدنية هم من هب للثورة ، بل فقط عواصم الولايات الاكليروسية : أوزنا بروك واوترخت وبادربورن وموندستر ، وفي موندستر قادت النقابات هجوما على دير كان قد دخل في المنافسة التجارية معها وطالبت أيضا بتقييد شامل لمزايا الاكليروس ، واجبرت المجالس الكنسية على إجراء تنازلات كبيرة .

وبتلك المناسبة كان انتصار النقابات قصير العمر ، في موندستر كما كان في كل اخواتها من المدن الأخرى ، ففي الوقت الذي هزم فيه الأمراء الفلاحين في الجنوب كانت الهيئة الكهنوتية في الأسقفيات الشمالية قادرة على استعادة كل مافقدته من السلطة ، وعلى الفور سحبت كل التنازلات ، وسحقت كل محاولة للاصلاح وفعلت كل مافي وسعها لاذلال المدن الثائرة ، وبحلول ١٥٣٠ أعيد ترسيخ النظام القديم للحكومة في كل الولايات الأكليروسية ، ومع ذلك فقد كان اقل أمنا بكثير مما كان أبدا ، لأن رجال المدن الآن كانوا مستائين من هيمنة الأكليروس والنبلاء بمرارة أكثر مما كانوا على الاطلاق ، لقد شعروا بقوتهم الخاصة ، وانتظروا على مضض الفرصة المناسبة لبسطها مرة أخرى ، علاوة على أن حالتهم في تلك السنوات كانت يائسة ، وفي ١٥٢٩ خرب تفجر الموت الأسود وستفاليا ، وفي الوقت نفسه تدهورت المحاصيل ، وتضاعف سعر الدقيق بين ١٥٢٩ و ١٥٣٠ ثلاث مرات تقريبا ، واخيرا في ١٥٣٠ فرضت ضريبة استثنائية لتمويل مقاومة الغزو التركي للامارات الشرقية من الامبراطورية ، وهناك دلائل على انه في اوائل ١٥٣٠ كان الحجز

على الأموال والبؤس في شمال المانيا استثنائيا تماما ، وكان من المتوقع أنه في واحدة من الولايات او الأخرى ستكون هناك اضطرابات جديدة ، وعندما حاول اسقف مونستر في ١٥٣٠ أن يبيع اسقفيته إلى اسقف بادربورن واوزنا بروك اثار حلفاءه في المجلس الكهنوتي ونفرهم منه ، وبدات الاضطرابات .

وفي ١٥٣١ بدأ قسيس شاب بليغ يدعى برنت روثمان ـ وهو ابن حداد اكسبته مواهبه البارزة تعليما جامعيا ـ في اجتذاب جمهور كبير من المصلين في مدينة مونستر ، وسرعان ما اصبح لوثريا ووضع نفسه على رأس حركة عادت بأصولها إلى ١٥٢٥ ، لتدخل المدينة في حظيرة اللوثرية ، ووجد تأييدا في النقابات وحليفا (ص ٢٥٨) ذا نفوذ في تاجر قماش ثري ونبيلا يدعى برنت كنبر دولنك وتوسعت الحركة التي كانت في الوقت نفسه بروتستنتية وديمقراطية باستقالة احد الأساقفة وموت خلفه . وفي ١٥٣٢ اصبحت النقابات التي تؤيدها الجماهير سادة المدينة ، وكانت قادرة على إجبار المجلس على تعيين وعاظ لوثريين في كل الكنائس ، ولم يكن الأسقف الجديد قادرا على جعل المدينة تتخلى عن عقيدتها وفي اوائل ١٥٣٣ اعترف بمونستر رسميا كمدينة لوثرية .

ولم يكن هذا ليبقى طويلا . ففي الدوقية المجاورة جوليس ـ كليفيس كان الوعاظ من القائلين بتجديد العماد يتمتعون منذ بضع سنوات بحرية الدعوة بشكل نادرا ما وجد مثله في اي مكان آخر ، ولكن في ١٥٣٢ طردوا والتمس عدد منهم ملجأ في مونستر ، وفي مجرى ١٥٣٣ وصل المزيد من القائلين بتجديد العماد وهذه المرة من الأراضي المنخفضة ، وكان هؤلاء من أتباع ملكيور هوفمان ، وهو من الرؤويين المشهورين الذي ـ خليفة حقيقيا للمتنبىء المتجول في العصور الوسطى ـ هام في طول أوروبا وعرضها يعظ بقرب المجيء الثاني والألفية . وكان في ١٥٢٩ أن انضم هوفمان إلى حركة القائلين بتجديد العماد ، وخلال السنة التالية تطور جناح جديد من الحركة ـ كان متأثرا بعمق

بأفكاره ـ فوق كل شيء في الأقاليم الشمالية من الأراضي المنخفضة . وطبقا لهوفمان كان للألفية أن تبدأ ، بعد فترة من « المحن المسائحية » وكثيرا من العلامات والعجائب في سنة ١٥٣٣ ، التي كان يفترض أنها تكمل القرن الخامس عشر بعد موت المسيح ، وفي ١٥٣٣ تحولت التخيلات الألفية التي جلبها أتباع هوفمان معهم إلى مونستر بسرعة إلى استحواذ كبير هيمن على كل حياة الطبقات الفقيرة في المدينة .

وفي غضون ذلك تخلى روثمان عن عقيدته اللوثرية ونقل كل بلاغته وهيبته لخدمة القائلين بتجديد العماد ، وبوعظه بتقاليد قديمة اتخذ حياة جديدة ، وفي ١٥٢٤ طبع المصدر القديم لمذهب الفوضوية الشيوعية ، أعني رسالة كليمنت الخامسة الزائفة ، في بازل ، وفي ١٥٣١ لخصها الفيلسوف الانساني سبستيان فرانك في لغة المانية دارجة واضحة مفعمة بالحيوية ، وجدت كثيرا من القراء ، واضاف إليها تعليقاته الخاصة من ذلك : « وبعد ذلك بوقت قصير ، بدا نمرود يحكم ، ثم كان كل من يتدبر ذلك يحصل المزيد من الآخرين ، وبدأوا في تقسيم العالم ومن ثم النزاع حول الممتلكات . وبدا لي ـ ولك ، وفي النهاية أصبح الناس مسعورين جدا كالحيوانات المتوحشة بالضبط ، كل يريد أروع ، وأفضل من الآخر ، وفي الحقيقة أراد أن يكون سيده ، بيد أن الرب جعل كل الأشياء مشتركة ، وحتى اليوم مازلنا نتمتع بالهواء ، والنار والمطر والشمس بصورة مشتركة ، وبكل ما لايمكن لانسان سارق أو طاغية أن يحبسه ويحتفظ به لنفسه » وكان هذا هو الموضوع الذي تولاه روثمان الآن ، (ص ٢٥٩) ومع تشرين أول ١٥٣٣ ، كان يدعم الشيوعية المفترضة للكنيسة البدائية على أنها المثالية للمجتمع المسيحي الحقيقي ، وأعلن في المواعظ والنشرات أنه يتوجب على المؤمنين الصادقين أن يصوغوا حياتهم بدقة وفق حياة المسيحيين الأوائل وأن هذا يشمل الملكية المشتركة للأشياء .

وكما في القرون المتقدمة كان هذا التبشير يروق بطرق عدة

لمستويات اجتماعية مختلفة . فكان هناك راسماليون ممن انكروا فجأة الربا والغوا كل الديون التي كانت مستحقة لهم ، وكان هناك العديد من الناس الأثرياء ممن قرروا أن يعيشوا كأخوة متحابين يحتفظون بكل ممتلكاتهم على الشيوع ويتبرأون بقسم مؤكد من كل الترف ، ويتخلون عن كل مافاض عنهم للفقراء ، ولكن في الوقت نفسه انتشرت أخبار هذا الوعظ طولا وعرضا بين من لاملكية لهم ، ومن لاأصل لهم ، والمخفقين ، وعلق على هذا أحد المراقبين بقولة : « وهكذا جاء الهولنديون والفريزيون والأنذال من كل الأنحاء وهم الذين لم يستوطنوا في أي مكان مطلقا ، لقد تدفقوا على مونستر وتجمعوا هناك » . واشارت مصادر اخرى إلى « هاربين ومنفيين ومجرمين » وإلى « أناس بددوا ثروات أهاليهم ، ولم يكسبوا شيئا من عملهم الخاص .... ممن تعلموا منذ سنواتهم الأولى أن يحيوا في كسل ، وأرهقوا انفسهم بالديون ، والذين كرهوا الاكليروس لابسبب ماقيل لهم عن دينهم بل لما ذكر لهم عن ثرواتهم ، والذين ادعوا هم انفسهم أنهم مارسوا الاشتراكية في ملكية الأشياء مثلما فعل الرسل حتى إذا أنهكهم الفقر ، فكروا في سرقة وسلب الكهنة والسكان الأكثر غنى » .

وإنه ليس مصادفة أن هذه العبارات تذكر بتلك التي طبقت مرة على جموع الرعاة ، ومع حلول القرن السادس عشر أصبحت الظروف الاجتماعية في الأراضي المنخفضة الشمالية . شبيهة جدا بتلك التي وجدت في فلاندرز ، وهينوت ، وبيكاردي منذ قرنين سالفين ، وفي حين كان السكان في تلك المراكز القديمة في انحدار كانوا في هولندا (كما في جنوب الماني) في ازدياد ، ومع انهيار صناعة الأقمشة في فلاندرز ، كانت تلك الصناعة في هولندا قد قفزت الى الأمام ، واهم مركز لتلك الصناعة على الأطلاق كان الآن في ليدن Leyden واصبحت هولندا تحوي الآن أعظم تركيز من الشغيلة المرهقين الذين لا يشعرون بالأمن ، علاوة على أن حالة هؤلاء الشغيلة كانت كما يبدو أسوأ مما كانت عليه منذ قرون سالفة ، وكانت صناعة الرأسماليين الجدد الى حد كبير صناعة

ريفية ، عمل فيها الحرفيون في بلادهم في مواد أمدهم بها الرأسماليون ، وتحت هذه النظم لم تعد النقابات تتمكن من العمل ، وهناك أدلة توحي بأن العاطلين وغير المنظمين كانوا أكثر عددا وأكثر يأسا مما كانوا في قرون سلفت ، وأنه بين مثل هؤلاء الناس كان ازدهار مذهب القائلين بتجديد العماد في أكثر صوره النضالية والألفية صراحة ، وكان مثل هؤلاء الناس الذين تدفقوا الآن على مونستر (ص ٢٦٠).

وكلما ازداد رخاء أهالي مونستر ، كان من الطبيعي بدرجة كافية أن يكونوا أكثر قلقا . واذا كان معظمهم قد ابتهج بهزيمة الأسقف والمجمع الكهنوتي وانتصار القضية اللوثرية ، فان حركة قوية للقائلين بتجديد العماد مؤيدة بحشود من العاطلين والأجانب اليائسين حملت مخاطر واضحة وشديدة لكل منهم على السواء ، وفي وجه هذا التهديدضم اللوثريون والكاثوليك الروحيون صفوفهم ، ونحو نهاية السنة حاول المجلس عدة مرات اسكات أو طرد روثمان ، ولكنه باطمئنانه الى اخلاص اتباعه كان دائما قادرا على التحدي ، و في الواقع كان الوعاظ الآخرين القائلين بتجديد العماد قد طردوا واستبدلوا بلوثريين ، ولكنهم عادوا قبل مضي وقت طويل وطرد اللوثريون من الكنائس ، وتزايدت الاثارة في المدينة اسبوعا بعد اسبوع حتى جاء في الأيام الأولى من ١٥٣٤ ووصل الرجال الذين كان عليهم أن يوجهوها الى غاية معينة.

وقبض على ملكيور هوفمان Melchior Hoffman الذي أعتقد أن الألفية سيبزغ فجرها في ستراسبورغ ، في تلك المدينة ، وسجن بداخل قفص في برج ، وأمضى هناك بقية أيامه ، وهبطت العباءة التنبوئية على هولندي من القائلين بتجديد العماد ، هو الخباز جان ماتيس (ماتيسزون) من هارلم ، وبدل هذا التغيير في القيادة كل نبرة الحركة ، فلقد كان هوفمان رجل سلام علم أتباعه ان ينتظروا مجيء الالفية بثقة هادئة ، متفاديا كل العنف. وكان ماتيس من جانب آخر قائدا ثوريا بشر أن الصالحين

يجب أن يحملوا بأنفسهم السيف وأن يمهدوا بفعالية الطريق للالفية باستخدامه ضد الأشرار ، ولقد أعلن انه قد تكشف له انه هو واتباعه قد دعيوا لتطهير الأرض من الكفرة ، ونجد في هذه التعاليم أن روح البيكارتي ، وتوماس مونتزر ، وهانزهت قد بعثت لحياة جديدة .

وأرسل ماتيس من الأراض المنخفضة رسلا الى مختلف جماعات القائلين بتجديد العماد كانوا يعتقدون أن الروح القدس قد هبطت عليهم كما هبطت على الرسل الأصليين في عيد الحصاد ، وفي كل مدينة زاروها عمدوا أعدادا كبيرة من البالغين وعينوا « اساقفة » لهم سلطة العماد ومن ثم انتقلوا ، بينما خرج من المدن التي اهتدت مؤخرا رسل جدد في مهام مماثلة ، وفي الأيام الأولى من ١٥٣٤ وصل أثنان من الرسل الى مونستر ، حيث أحدث وصولهم على الفور حماسا حقيقيا معديا ، واعيد تعميد روثمان والوعاظ الآخرين القائلين بتجديد العماد ، وتبعهم تعميد عدد من الراهبات والنساء الموثرات من عامة الناس وفي النهاية قسم كبير من السكان ، وقيل انه خلال أسبوع بلغ عدد المعمدين ١٤٠٠ (ص ٢٦١)

وانتقل الرسل الأول ، ولكن حل محلهم أثنان آخران ، وهؤلاء ـ بصورة بالغة الأهمية ـ اعتبرا في البداية اينوخ ، واليجا ، ذلكما النبيين اللذان طبقا للتقاليد الأخروية كان لهما أن يعودا الى الأرض كشاهدين ضد المسيح الدجال ، وأن ظهورهما كان لاعلان المجيء الثاني ، وكان أحد القادمين الجديدين هو جان بوكسون (بوكسزون ، بيوكلست) وكان معروفا أكثر باسم جون أوف لايدن ، وهو شاب عمره خمس وعشرون سنة أهتدى وعمد من قبل ماتيس قبل شهرين فقط ، وقدر له أن يحقق شهرة في مونستر دامت حتى أيامنا الراهنة ، حيث انه هنا كما كان كثيرا ـ كما في حالة « استاذ هنغاريا » وآخرون غيره في العصور الوسطى وفي كل الأزمنة في الواقع ـ كان الزعيم المسائحي

أجنبيا ، رجل من الحافة ، وكان بوكلسون ، مع معلمه في البداية ، وفيما بعد بمفرده هو الذي كان عليه أن يعطي لمذهب القائلين بتجديد العماد في مونستر ولعا ضاريا بالروح القتالية لم يستحوذ مثلها على أي مكان آخر ، وكان لها أن تثير تفجرا ثوريا الفيا أكثر ترويعا من ذلك الذي كان في طابور قبل ذلك بقرن.

مونستر كقدس جديدة

وخلال شباط ١٥٣٤ ، تزايدت قوة القائلين بتجديد العماد بسرعة في مونستر وأقام بوكسلون على الفور علاقات مع قائد النقابات وراعي القائلين بتجديد العماد ، تاجر الأقمشة كنبردولنيك ، وتزوج ابنته بعد وقت قصير ، وفي ٨ شباط هرول هذان الرجلان في هياج في الطرقات وهما يدعوان الناس الى التوبة من ذنوبهم ، ولم يكن هناك حاجة للمزيد لاطلاق فيض من الهستريا ، ولا سيما بين النساءووضع القائلون بتجديد العماد ممن كانوا في البداية من أكثر اتباع روثمان حماسا ، والذين تضخمت أعدادهم مؤخرا بانضمام العديد من الراهبات اللواتي اندفعن من أديرتهن ، بملابس مدنية وخضعن لاعادة التعميد ، وبدأ هؤلاء النسوة الآن في رؤية إحلام رؤوية وأخذن يندفعن الى الشوارع بشدة ، لدرجة أنهن كن يلقين بأنفسهن على الأرض وهن يصرخن ويتلوين والزبد يخرج من أفواههن ، وفي هذا الجو المشحون بالتوقعات الخارقة للطبيعة ، قام القائلون بتجديد العماد بثورتهم المسلحة الأولى واحتلوا مبنى البلدية وساحة السوق ، وكانوا ما يزالون قلة فقط ، وكان بالتأكيد يمكن هزيمتهم لو أن الغالبية اللوثرية رغبت في استعمال القوة المسلحة التي كانت تحت تصرفها ، لكن مجددي العماد امتلكوا مؤيديهم في المجلس ، وكانت حصيلة الثورة الاعتراف الرسمي بمبدأ حرية الضمير (ص ٢٦٢).

وهكذا كسب القائلون بتجديد العماد اعترافا قانونيا لجماعتهم

التي كانت بالفعل قوية ، وكان العديد من اللوثريين الموثـرين الذين نظروا بيقظة وحذر الى امكانية الضغط المتزايد باستمرار من قبـل خصومهم ، قد انسحبوا من المدينة مع كل منقولاتهم. وكانت غالبية السكان الباقين من القائلين بتجـديد العمـاد ، وارسـل الرسـل والمبشرون لحث القـائلين بتجـديد العمـاد في المدن القـريبة على المجيء ، مع عائلاتهم الى مونستر ، فلقد قدر لبقية الأرض ـ كمـا اعلنوا ـ أن تدمر قبـل عيد الفصـح ، ولكن مـونستر سـتنجو وستصبح قدسا جديدة ، وسيكون الطعام واللباس والمال والاقـامة جاهزة للمهاجرين عند وصولهم ، ولكن عليهم جلب الأسلحة .وقـد قوبلت الدعوة باستجابة قوية من خارج الوطن حتى بُعْدٍ وصـل الى فريزيا وبرابنت ، وتـدفق القـائلون بتجـديد العمـاد على مونستر ، حتى تجـاوز عدد القـادمين الجـدد عدد المهـاجرين اللوثريين ، ونتيجة لذلك تم انتخاب هيئة هيمن فيها القائلون بتجديد العماد في الانتخاب السـنوي لمجلس المدينة في ٢٣ شـباط ، وكان كينبردوليذك احد عمدتي المدينة ، وفي الأيام التـالية نهبـت الأديرة والكنائس ، وفي طقـوس ليلية حـطمت التمـاثيل الدينية ودمـرت منحوتات ورسومات وكتب الكاتدرائية.

وفي الوقت نفسه وصل جان ماتيس نفسه وكان شـخصيه نحيلة طويلة ، له لحية طويلة سوداء وبسرعة هيمن مع بوكلسن على المدينة ولم يستطع روثمان والوعاظ الآخرون من القائلين بتجـديد العمـاد المحليين الآخـرين المنافسـة ، على التـأييد الشـعبي « للأنبياء الهولنديين » وسرعان ما جرفتهم حركة مسعورة لم يعودوا قـادرين على السـيطرة عليهـا ، دع.عنك مقـاومتها وعملوا كمجـرد دعاة مطيعين لنظام تـركزت فيه كل القـوة المؤثـرة في أيدي مـاتيس وبوكلسن.

وكان النظام ثيوقراطيا ابتلع فيه المجتمـع الملهـم مـن السـماء الدولة ، والرب الذي كان يفترض ، أن تلك الثيوقراطية تخدمه كان الرب الأب ، الأب الغيور القادر المهيمن الذي سيطر على خيال كثير

من الالفيين السالفين ، لقد كان الأب وليس الابن هـو الذي شـجع ماتيس وبوكلسن اتباعهما على مناشدته ، وكان من أجل أن يقـوم أطفال الرب بخدمة الأب متحدين أن قررا ايجـاد « قـدس جـديدة مطهرة من كل الدنس ». ولتحقيق هذا المجتمـع الطـاهر غير الملوث ايد مـاتيس اعدام كل اللوثـريين والكاثـوليك الرومـانيين الباقين ، ولكن كنبردوليذك بين أن هذا سيقلب كل العالم الخـارجي ضد المدينة وتقرر مجرد طردهم.

وفي صباح ٢٧ شباط اندفعت فرق مسلحة بتشجيع من ماتيس في هياج « نبوي » الى الشوراع تنادي:« اخرجوا ايهـا الكفـرة ، ولا تعـودوا ، انتـم يا أعداء الأب »(ص ٢٦٣)وفي البـرد القارس ، وسط عاصفة ثلجية جامحة ، طردت جموع مـن الكفـرة من المدينة من قبل القائلين بتجـديد العمـاد الذين كانوا يمـطرونهم بالضربات وكانوا يضحكون مـن محنتهـم. وكان بين هؤلاء الناس شيوخ ومرضى ، وأطفال صغار ونساء حوامل ونساء وضعن لتوهم احمالهن وجاء اغلبهم من أكثر الأجزاء رخاء من السكان ، ولكنهـم اجبروا على ترك كل ما يملكونه وراءهم من ممتلكات ومال ومـلابس اضافية ، وحتى الطعام أخذ منهم فهبـطوا الى حـد الشـحاذة في الريف من أجـل الطعـام والمأوى ، وبـالنسبة للوثـريين والروم الكاثوليك الذين بقـوا في المدينة ، فقـد أعيد تعميدهـم في سـاحة السوق ، واستمر الاحتفال ثلاثة أيام ، ومـاان انتهـى ، أصبح البقاء بلا عماد اثمـا كبيرا ، وبحلول صـباح ٣ اذار لم يعـد هناك كفرة في مونتسر ، وكان سكان المدينة فقط من أطفال الرب ، وكان هؤلاء الناس الذين أخذوا يخـاطبون بعضـهم بعضـا « بـأخي — واختي » يعتقدون بأنهم يمكنهم العيش دون خطيئة في مجتمع مترابط بالحب وحده ،

وبانتزاع العناصر اللوثرية والكاثوليكية-الرومية من بين السكان لم يتأثر الأنبياء فقط بالعصبية بل أيضا بمعرفة أن مـونتسر كانت على وشك ان تحاصر ، ومع أن الأسقف قد تردد في منح الاعتـراف

الرسمي للمجتمع اللوثري فانه لم يكن مستعدا لفعل الشيء نفسه للقائلين بتجديد العماد . وعند كل مرحلة كان يحاول ايقاف تقدم القائلين بتجديد العماد ، وحالما أصبحت فكرة تجديد العماد حركة قتالية تحت قيادة الأنبياء استعد لسحقها بالقوة ، وعندما حمل القائلون بتجديد العماد للمرة الأولى السلاح واحتلوا ساحة السوق اسرع مع القوات الى المدينة ، وكان المجلس رفض مساعدته في هذه المناسبة ، وخلال الأسابيع التالية شرع في تكوين جيش من المرتزقة، وأسهمت المدن والامارات المجاورة بالسلاح والذخيرة والمؤن وأسهم بعضهم ـ مع أن ذلك كان على مضض وبشكل غير كامل ـ ايضا بالمرتزقة ولذلك عندما ادعى القائلون بتجديد العماد في دعايتهم بأنهم كانوا ببساطة يدافعون عن انفسهم ضد عدوان الروم الكاثوليك كانوا بلا شك صادقين تماما ، وماهو مؤكد هو ان طرد اللوثريين والروم الكاثوليك قد عجل بايجاد الخصومات ، وفي اليوم التالي ٢٨ شباط اهتزت الأرض حول المدينة وبدأ الحصار .

وكان جنود القائلين بتجديد العماد مدهوشين جدا اذ وجدوا انفسهم فجأة في حرب ، ولكن تحت قيادة كنبردولينك سرعان ما استعادوا ثقتهم بأنفسهم ، واستجابوا بشجاعة للتهديد ، وعين الضباط ونظمت المراقبة المنظمة نهارا وليلا ، وأوجدت خدمة نارية وحفرت الحفر (ص ٢٦٤) والخنادق للمدافع ، وقامت المتاريس الترابية خلف بوابات المدينة ، وخصص لكل رجل و امرأة وشاب واجب محدد ، وسرعان ماشنت غارات ضد القوات المحاصرة وجرت مناوشات ومصادمات خارج الأسوار ، وفي الوقت نفسه بدأت ثورة اجتماعية تحت قيادة جان ماتيس وكانت خطوته الأولى مصادرة ممتلكات المهاجرين ، ودمرت سندات الديون ودفاتر المحاسبة والعقود التي وجدت في بيوتهم ، ونقلت الملابس والفرش والأثاثات والمصنوعات الصلبة ، والأسلحة ومخزونات الطعام ووضعت في مستودعات مركزية ، وبعد ثلاثة ايام من الصلاة أعلن ماتيس اسماء سبعة « شمامسة » اختارهم الرب لادارة تلك المستودعات ، وشجع الفقراء على التقدم اليهم بالطلبات ، وحصلوا

على السلع التي يحتاجونها ، ومهما بلغت شعبية هذه التدابير لدى المتفقين فإن حقيقة أنها كانت تنفذ بناء على أوامر اجنبي ، قادم جديد الى المدينة ، اثارت الاستياء ، وتكلم حداد جهرا ضد ماتيس وأمر المتنبيء على الفور باعتقاله وأخذه الى ساحة السوق ، واستدعى كل السكان ايضا الى هناك والقى ماتيس وهو محاط بالحراس خطابا أعلن فيه ان الرب كان غاضبا للافتراء على نبيه ، وأنه سينتقم من المجتمع كله اذا لم يستأصل هذا الحداد الكافر من جسم الشعب المختار ، والرعايا القلائل الذين احتجوا على عدم شرعية المحاكمة ، ألقى بهم في السجن ، وبادر ماتيس فطعن الحداد ثم أطلق عليه النار ، وهكذا تم تحذير الشعب للاستفادة من هذا المثل ، فأنشد الجميع بطاعة كاملة ترتيلة قبل ان يتفرقوا .

وبدأ الرعب ، وكان في جو من الرعب ان تقدم ماتيس لتنفيذ الشيوعية التي تأرجحت من قبل شهورا عديدة ، كرؤيا فاخرة في خيال القائلين بتجديد العماد ، وشنت حملة دعائية من قبل ماتيس وروثمان والوعاظ الآخرين ، وأعلن ان المسيحيين الحقيقيين يجب ان لايملكوا مالا خاصا بهم بل يجب أن تكون ملكية المال مشتركة ، وتبع ذلك أن كل المال وايضا كل الحلي الذهبية والفضية يجب أن تسلم ، وقوبل هذا الأمر في البداية بمعارضة ، وطمر بعض القائلين بتجديد العماد مالهم ، واستجاب ماتيس بتشديد الارهاب ، وجمع الرجال والنساء الذين عمدوا فقط في وقت الطرد معا ، وأبلغوا أنه إذا لم يشأ الأب مسامحتهم فإنهم يجب أن يهلكوا بسيوف الصالحين ، ثم حبسوا بداخل كنيسة حيث بقوا في قلق عدة ساعات حتى انهارت معنوياتهم تماما ، وفي النهاية دخل ماتيس مع فرقة من الرجال المسلحين ، وكان ضحاياه (ص ٢٦٥) يزحفون في اتجاهه على ركبهم يتوسلون إليه كأثير عند الآب أن يشفع لهم . وكان يفعل ذلك أو يدعي فعله ، وفي النهاية كان يخبر الخائفين البائسين انه قد كسب

المغفرة لهم ، وان الرب كان مسرورا بقبولهم في جماعة الصالحين ، وبعد تجربة التخويف هذه أمكن لماتيس أن يشعر براحة أكبر حول الحالة المعنوية في القدس الجديدة .

واستمرت الدعاية ضد ملكية الأموال الخاصة أسابيع بلا توقف ، مصحوبة بكل تملق مغر وبأكثر التهديدات ترويعا ، وكان تسليم المال اختبارا لصدق المسيحية ، وأولئك الذين أخفقوا في الاذعان أعلن انهم قابلون للابادة ويبدو أن بعض الاعدامات قد حدثت ، وبعد شهرين من الضغط المتواصل تم إبطال الملكية الخاصة للمال بصورة فعالة ، ومن حينه ومابعد كانت الأموال تستخدم فقط للأغراض العامة وتشمل المعاملات مع العالم الخارجي مثل : استئجار المرتزقة ، وشراء المؤن ونشر الدعاية . وتلقى الحرفيون في المدينة من جانب آخر أجورهم عينا وليس مالا ، ويبدو انهم لم يعودوا يتلقون أجورهم من مستخدمين خاصين بل من قبل الحكومة الثيوقراطية ، واتخذت أيضا خطوات لترسيخ الملكية المشتركة للسلع ، وعند كل بوابة مدينة أقيمت قاعة طعام مشتركة حيث قام الرجال الذين كانوا يؤدون الخدمة على الأسوار بتناول الطعام معا ، بصحبة تلاوة من العهد القديم ، وكانت كل قاعة في عهدة أحد الشمامسة المعينين من قبل ماتيس ، وكان الشماس مسؤولا عن تقديم الوجبات ، وكانت الطريقة التي قام بها بذلك بوساطة زيارة المنازل الخاصة وتسجيل قائمة بالمواد الغذائية التي يجدها هناك ومصادرتها كما هو مطلوب ، وأيضا كانت الاقامة يجب أن توجد لجموع المهاجرين ، وفي البداية كان يعتبر كافيا أن تخصص لهم الأديرة والبيوت العائدة للوثريين والروم الكاثوليك ، ولكن فيما بعد غدا الامتلاك المحصور للاقامة يعتبر إثما ، وبات على أبواب جميع البيوت أن تترك مفتوحة نهارا وليلا .

وكانت كل هذه التدابير تلقى التحبيذ بالطبع في ظروف الحصار ومع ذلك من الخطأ بالتأكيد الايحاء ـ كما كان يحدث أحيانا ـ أن الشيوعية في مونستر بلغت ذروتها بالمصادرة ولم تتجاوزها لمواجهة

متطلبات الحرب ، لقد كان إبطال الملكية الخاصة للمال ، وتقييد الملكية الخاصة للطعام والمأوى يرى كخطوات أولية نحو دولة ـ كما وصفها روثمان ـ كل شيء فيها ملك لكل فرد ، والتفرقة بين « لي » و « لك » ستختفي ، أو ـ كما عبر عنها بوكلسن فيما بعد ـ « كل شيء سيكون مشتركا ، ولن تكون هناك ملكية خاصة وان أحدا لن يقوم بالعمل بعد ذلك ، بل ببساطة يضع ثقته في الرب »

وكان روثمان بعد كل شيء يتمسك (ص ٢٦٦) بأن الملكية المشتركة للأشياء مثالية لدى النخبة قبل التفكير في الحصار بزمان طويل ، والآن وفي خدمة « الأنبياء الهولنديين » طلب أن تترجم المثل نفسها إلى مؤسسة اجتماعية مقبولة من قبل الجميع على السواء ، ويظهر المزيج المألوف للألفية والبدائية بوضوح تام من الفقرة التالية من نشرة الدعاية التي اصدرها في تشرين أول ١٥٣٤ ، لتوزع بين جماعات القائلين بتجديد العماد في المدن الأخرى :

«الرب بيننا ـ له الحمد الدائم والشكر ، قد أعاد المجتمع ، كما كان في البداية وكما يليق بالقديسين التابعين للرب ، ونأمل ايضا أن يكون بيننا مجتمع بالقوة نفسها والبهاء وأن يكون بنعمة الرب ملحوظا بقلب نقي كما كان في أي وقت سالف . لأننا لم نضع فقط كل ممتلكاتنا في صندوق مشترك تحت رعاية الشمامسة ، بل نعيش منه وفق متطلباتنا : إننا نحمد الرب من خلال المسيح بقلب واحد وعقل ، ونتلهف على مساعدة بعضنا بعضا بكل انواع الخدمة ، وبناء على ذلك إن كل شيء خدم أغراض الأنانية والملكية الخاصة ، مثل البيع و الشراء ، والعمل مقابل المال ، وأخذ الفائدة وممارسة الربا ـ حتى على حساب الكفار ـ أو أكل وشرب عرق الفقراء (بمعنى : جعل شعب المرء والمخلوقات التابعة تعمل حتى يسمن المرء) ، وفي الواقع كل شيء يسيء إلى الحب ويعارضه ، إن مثل هذه الأشياء جميعا قد الغيت من بيننا بقوة الحب والمجتمع ، وبمعرفة أن الرب الآن يرغب في الغاء مثل هذه الأمور البغيضة

وإننا لأن نموت خير من العودة إليها ، إننا نعلم أن مثل هذه التضحيات تسر الرب ، والواقع إن أي مسيحي أو قديس لايمكنه أن

يرضي الرب إذا لم يعش في مثل هذا المجتمع ، أو على الأقل يرغب من كل قلبه في العيش فيه » .

ولم تكن جاذبية النظام الاجتماعي الجديد بأي حال مثالية ، وسلفا قبل ذلك بعام ، اجتذبت جموع ممن لابيوت ولاأملاك لها من الناس إلى مونستر بأمل الثورة الاجتماعية . ولكن الثورة حدثت الآن ، والدعاية التي بعث بها القادة إلى مدن أخرى كانت تكمن في تعابير اجتماعية صرفة وتوجه بشكل خاص إلى أفقر الطبقات وجاء في إحدى الرسائل : « إلى الأفقر بيننا إلى الذين كانوا يزدرون كمتسولين ، تجولوا الآن وانتم مكسوون بالنعومة نفسها الأعلى والأكثر تميزا .... وبنعمة الله لقد اصبحوا أغنياء مثلهم مثل السادة ، وأغنى الناس في المدينة » . ومامن شك أن أفقر الطبقات على مساحة واسعة كانوا حقيقة ينظرون نحو القدس الجديدة بمزيج من التعاطف ، والأمل ، والخشية .

وقد أمكن لأحد العلماء أن يكتب إلى اراسمس أوف روتردام : « إننا في هذه الأجزاء نعيش في قلق بائس بسبب الطريقة التي اندلعت بها ثورة القائلين بتجديد العماد . حيث أنها حقاقد هبت مثل النار ، واعتقد انه يندر أن توجد مدينة أو قرية لم تتوهج فيها الشعلة سرا ، إنهم يبشرون بمشاعية السلع إنهم يعظون بالاشتراك في السلع ، وكانت النتيجة أن (ص ٢٦٧) الذين لايملكون شيئا جاؤوا يتدفقون » ويبدو مدى الجدية التي أخذت بها السلطات هذا التهديد في التدابير القمعية التي تبنتها ، ولم تجعل فكرة القول بتجديد العماد إثما كبيرا فقط في أسقفية مونستر بل وفي الامارات المجاورة أيضا : دوقية كليفز ورئاسة اسقفية كولون ، وتجولت دوريات من الخيالة في الطرق واعتقلت كل المشبوهين ، وخلال شهور الحصار قطعت رؤوس رجال لاحصر لهم ونساء في المدينة ، أو اغرقوا أو أحرقوا أو حطموا على الدولاب .

ولكونها مؤيدة من انصاف المتعلمين وتروق دوما لهم ، كانت الثورة الاجتماعية في مونستر بعناد مضادة للثقافة ، وكان القائلون

بتجديد العماد يتباهون ببراءتهم من التعلم بالكتب ، واعلنوا أن غير المتعلمين هم الذين اختارهم الله لخلاص العالم .

وعندما نهبوا الكاتدرائية وجدوا بهجة خاصة في تدنيس ، وتمزيق وحرق الكتب والمخطوطات في مكتبتها القديمة ، واخيرا في منتصف آذار حظر ماتيس كل الكتب سوى الانجيل ، وكل الأعمال الأخرى ، حتى تلك التي في الملكية الخاصة توجب أن تجلب إلى باحة الكاتدرائية لتحرق في محرقه عظيمة ، ورمز هذا العمل إلى القطيعة التامة مع الماضي ، وفوق كل شيء ، الرفض الشامل للعطاء الثقافي للأجيال السالفة ، وقد حرم بشكل خاص سكان مونستر من الوصول إلى القضايا اللاهوتية من الآباء وما بعدهم ، وبذلك ضمنوا لقادة القائلين بتجديد العماد احتكار تفسير الكتاب المقدس،ومع نهاية آذار أقام ماتيس دكتاتورية مطلقة ، ولكنه مات بعد بضعة أيام ، ففي عيد الفصح تلقى ما اعتقد انه أمر إلهي للقيام بغارة على رأس مجرد حفنة من الرجال ، وخرج وهو مقتنع بأنه بمعونة الأب ستطرد هذه الحفنة الجيش المحاصر وتحرر المدينة ، وبدلا عن ذلك مزق هو رفاقه ـ بكل ماتعنيه الكلمة ـ إربا إربا ، وقد أعطى هذا الحدث مجالا لحواري ماتيس الشاب جان بوكلسون ، الذي حتى الآن لم يشغل دورا كبيرا ، ولكنه كان بكل طريقة مؤهلا للامساك بمثل هذه الفرصة واستثمارها كليا ، وكان لديه هو نفسه كل الأسباب للتلهف على تعويض ضخم عن الاذلال والاخفاق الذي تعرض له في حياته ، وكان قد ولد خارج إطار الزواج ، كابن لعمدة قرية هولندية وامرأة من الأقنان من وستفاليا ، وتلقى تعليما كافيا ليحرز معرفة سطحية بعلوم الكتب،ومع ذلك فقد بدأ حياته المهنية كخياط متدرب ، وعندما حاول أن يبدأ عملا تجاريا لحسابه أصابه الخراب في وقت قصير ، ومن جانب آخر كانت لديه مواهب ملحوظة كانت فقط تنتظر كي تظهر ، ولكونه موهوبا بمظهر رائع ، وبلاغة لاتقاوم فقد وجد منذ شبابه وما بعده متعة في الكتابة وكان ينتج المسرحيات ويمثل وفي مونستر كان قادرا على تشكيل الحياة الحقيقية في مسرحية ، كان هو بطلها ، وكانت أوروبا كلها هي

المشاهدين ، وكان سكان القدس الجديدة مبهورين به ، ومنحوه في البداية إخلاصا أكبر مما منحوه لماتيس .

وفي استثماره لهذا الاخلاص أظهر بوكلسن نفسه كسياسي أكثر من ماتيس وكان لديه ذكاء أكثر ، وعرف كيف يثير الحماس في الجماهير وكيف يستخدمه لأغراضه عندما يثور ، ومن جانب آخر يبدو مؤكدا أنه هو نفسه كان سهل التأثر (ص ٢٦٨) بالحماس الصوفي الظاهري . وعندما أعلن فاركان قد عاد إلى المدينة كجاسوس أنه قد تم إحضاره بوساطة الملائكة ، صدقة بوكلسن ووثق به على الفور ، وعلاوة على ذلك ادعى هو نفسه أنه أوحي إليه مرارا ويكون من التهور افتراض إن هذا كله كان من نسج خياله ، فعندما كان وجها لوجه مع الموت ، أعلن أنه كان يلتمس دائما بهاء الرب ومجده ، وربما كان غير كاذب ، ففي الواقع ـ مثل كثير من المتنبئين الآخرين من تانشيلم وما بعده ـ يبدو أن بوكلسن كان مصابا بجنون العظمة ، وسلوكه لايمكن تفسيره تماما ببساطة كتعصب مخلص ولابساطة كنفاق محسوب ، وما يلي هو على الأقل مؤكد : إنها لم تكن شخصية عادية أو شائعة تلك التي أمكنها أن تغري مدينة صغيرة تضم نحو ١٠٠٠٠ من السكان منهم ١٥٠٠ فقط كانوا قادرين على حمل السلاح ، على الصمود ضد ائتلاف الامارات وخلال صعوبات مروعة لنحو مايزيد عن سنة . وكان أول عمل هام لبوكلسن ـ بشكل مميز ـ عملا دينيا وسياسيا في الوقت نفسه ، ففي وقت مبكر من أيار ركض عاريا عبر المدينة في هياج ثم سقط في غيبوبة وجد صامت استمر ثلاثة أيام ، وعندما عاد إلى الكلام دعا السكان جميعا ، وأعلن أن الرب قد كشف له أن الدستور القديم للمدينة ، بما أنه من عمل الانسان يجب أن يستبدل بواحد جديد ، يكون من عمل الرب ، وأعفى الرؤساء والمجلس من أعمالهم ، وأقام بوكلسن نفسه مكانهم مع ـ حسبما حكى الكتاب المقدس عن بني اسرائيل ـ اثني عشر من الشيوخ ، ومن الأدلة على ذكائه السياسي أن الشيوخ ضموا بعض المخلوعين من المجلس السالف ، وممثلين عن النقابات ، وعضو عن الارستقراطية

المحلية ، وبعض المهاجرين من الأراضي المنخفضة ، وأعطيت الحكومة الجديدة سلطة على كل الأمور العامة والخاصة الروحية والمادية وسلطة الحياة والموت على كل السكان في المدينة ، واشتق تشريع قانوني جديد كان يهدف جزئيا إلى التوسع في عملية التحويل الاشتراكي ، وجزئيا لفرض أخلاقية تطهيرية صارمة ، وادخلت الادارة الصارمة للعمل ، والحرفيون الذين لم يجندوا في الخدمة العسكرية أصبحوا موظفين عامين ، يعملون من أجل المجتمع ككل دون مقابل مالي ، وهو ترتيب حرم بالطبع (ص ٢٦٩) النقابات من عملها التقليدي وأدى بسرعة إلى اختفائها ، وفي الوقت نفسه لم تجعل القوانين الجديدة فقط من السرقة والقتل جريمة كبرى بل أيضا من الكذب وتشويه السمعة ، والبخل والشجار ، ولكن فوق كل شيء لقد كان قانونا مطلق الصلاحيات ، وكان الموت عقوبة لكل نوع من العصيان : من الصغار ضد واليهم ، من الزوجة لزوجها ، أو لأي انسان ضد الرب وممثلي الرب ، حكومة مونستر ، وتلك المواد الأخيرة يحتمل أنه لم يمكن تنفيذها حرفيا ، ولكنها كانت توفر للمتنبىء وسيلة للتخويف ، ولضمان أن تكون وسيلة فعالة عين كينبردولينك جلادا وأعطي سيف العدالة وحراسة مسلحة .

وكان السلوك الجنسي في البداية منظما بالصرامة نفسها لكل نواحي الحياة الأخرى ، والصورة الوحيدة المسموح بها للعلاقة الجنسية كانت الزواج بين اثنين من القائلين بتجديد العماد ، والزنا والفسق ـ الذي اعتبر يشمل الزواج بواحد من الكفرة ـ كان من الجرائم الكبرى ، وكان هذا يتماشى مع تقاليد القائلين بتجديد العماد.ومثل الوالدنسيان في القرون المبكرة التزم القائلون بتجديد العماد بقانون أشد صرامة ، للاخلاقيات الجنسية أكثر من اغلب معاصريهم . ووصل هذا النظام إلى نهاية مقتضبة وذلك عندما قرر بوكلسن إباحة التعدد في الزواج ، ومرد امكانية القيام بمثل هذا العمل يمكن إرجاعها إلى حقيقة أن كثيرا من المهاجرين كانوا قد تركوا نساءهم وراءهم في المدينة ، حتى أنه كان هناك الآن من الرجال على الأقل ثلاثة اضعاف النساء اللواتي في سن الزواج ،

ومن جانب آخر ليس هناك دليل يدعم فكرة أن قصد بوكلسن كان توفير الحماية لنساء كن بالفعل بلا حماية ، ولم يقترح شيء من هذا النوع مطلقا بتجديد العماد الآن في مونستر ، كان في الواقع هو نفسه الذي كان في قرون سالفة قد تم السير عليه من قبل أخوة الروح الحرة والادامايتيين،وقد شرح للوعاظ والشيوخ المجتمعين كيف أن الرب قد أوحى له بأن الوصايا التوراتية (بالتزايد والتكاثر) يجب أن تؤخذ كأمر إلهي . وقد أعطى أنبياء بني إسرائيل مثالا جيدا ، فتعدد الزوجات الذي مارسوه يجب أن يستعاد في القدس الجديدة

وجادل بوكلسون أياما بغير انقطاع ، وفي النهاية هدد المنشقين بغضب الرب ، وبعد ذلك خرج الوعاظ طائعين ليفسروا المذهب الجديد في باحة الكاتدرائية ، ومثل الاشتراك في السلع قوبل تعدد الزوجات بمقاومة عندما قدم للمرة الأولى ، وكان هناك ثورة مسلحة القى خلالها بوكلسن ، وكنيبر دولينك في السجن ،إنما لكون الثوار كانوا أقلية صغيرة فقط ، فإنهم هزموا سريعا وأعدم نحو الخمسين منهم ، وأعدم خلال الأيام التالية أيضا عدد آخر ممن غامر بنقد المذهب (ص ٢٧٠) الجديد ، وبحلول آب توطد تعدد الزوجات ، وبدا بوكلسن الذي ترك زوجة في لايدن بالزواج من ارملة ماتيس الجميلة الشابة ، وكان اسمها دييغر أو ديغارا ، وقبل أن يمضي وقت طويل كان لديه حريم يضم خمس عشرة زوجة،وحذا الوعاظ وكل السكان الذكور في حينه حذوه وبدأوا يتصيدون زوجات جديدات ، وبالنسبة للنساء مع انه كان هناك عديدات ممن رحبن بعادة تعدد الزوجات كان هناك أخريات شكل بالنسبة لهن طغيانا كبيرا ، وسن قانون بموجبه كان على كل النساء تحت سن معينة أن يتزوجن شئن أم أبين ، وحيث أنه كان هناك قليل من الرجال غير المتزوجين ، كان هذا يعني أن عددا كبيرا جدا من النساء كن ملزمات قانونيا بقبول دور الزوجة الثانية أو الثالثة أو الرابعة ، علاوة على ذلك بما أن كل الزيجات « بالكفرة » قد أعلن بطلانها فإن زوجاتا لمهاجرين أكرهن على خيانة ازواجهن ، وكان رفض الاذعان للقانون الجديد إثما كبيرا ، وجرى بالفعل إعدام بعض النساء ومن

جانب آخر بدأ العديد من الزوجات المستقرات على الفور بالشجار مع النساء الغريبات اللائي دخلن بيوتهن فجأة ، وكان هذا أيضا إثما كبيرا ، وأدى إلى مزيد من الاعدامات ولكن لايمكن لأي قدر من الصرامة أن تكره على الانسجام المنزلي ، وفي النهاية كان لابد من السماح بالطلاق ، وهذا بدوره حول تعدد الزوجات إلى شيء لايختلف كثيرا عن الحب الحر ، وقد تم الاستغناء عن الاحتفال الديني بالزواج وأصبح الزواج يتم بعقد ويحل بسهولة كبيرة ، وحتى لو اسقطنا كثيرا من الروايات المعادية التي نملكها على أنها مبالغة ، فإنه يبدو مؤكدا أن معايير السلوك الجنسي في مملكة القديسين قد عبرت كامل القوس من التطهر الصارم ، إلى مايقرب من العلاقات غير الشرعية .

ولم تبعد إعادة تنظيم المجتمع في مونستر بوكلسن عن الدفاع عن المدينة ضد العدو الخارجي ، وصحيح أنه لعدة شهور لم يكن العدد هائلا جدا ، ذلك أن الأسقف قد وجد صعوبة كبيرة في القيام بأعمال حربية فعالة ، وكانت المساعدة التي تلقاها من حلفائه في كليفز وكولون قد جاءت على مضض ولم تكن أبدا كافية ، وكان عليه دائما أن يناشد من أجل مزيد من المال والقوات ، ولكون غالبية مرتزقته قد جاءوا مثلهم مثل غالبية القائلين بتجديد العماد ومن الطبقة الاجتماعية نفسها ، كانوا دائما مستعدين للتعاطف مع السكان المحاصرين ، وحقيقة أن أجورهم كانت تصل بصورة غير منتظمة جعلتهم غير قابلين للاعتماد عليهم اكثر ، لاسيما عندما عرض بوكلسون بفكره الثاقب ـ وفي تعارض صريح مع نظريته الشيوعية ـ عليهم دفعات منتظمة ، وقد أحدثت المنشورات التي أطلقها القائلون بتجديد العماد في معسكر العدو الأثر المطلوب . ففي خلال حزيران انتقل نحو ٢٠٠ من المرتزقة إلى صفوف القائلين بتجديد العماد في حين أن آخرين فروا ببساطة وعادوا إلى بيوتهم . (ص ٢٧١)

وبالمقارنة مع المحاصرين كانت الحملة قوة عسكرية منظمة ،

وكان هذا في الأساس إنجازا شخصيا لبوكلسن ، وخلافا لماتيس فإنه ـ مع كل تهوره ـ لم تغب عن نظره الحقائق المادية للأعمال الحربية ، ولابد أنه كان منظما مقتدرا جدا ، وعندما قصفت المدينة للتحضير للهجوم ، عملت النساء كل الليل لاصلاح الأسوار المعطوبة ، وعندما حاول المرتزقة الاستيلاء على المدينة بهجوم عاصف استقبلوا ليس بطلقات المدافع بل بالأحجار ، والماء المغلي والقار الملتهب ، ومن جانب آخر عندما قام المحاصرون بغارة شنتوا المرتزقة بغير نظام بل حتى أنهم تمكنوا من تعطيل كثير من المدافع ، وضمن المدينة كان النظام مفروضا بصرامة ، وكان لكل فرد مهمة أساسية مخصصة ، كحرفي أو في الصيانة والاصلاح للتحصينات ، وكان هناك تفتيش منتظم على الحراسة فوق الأسوار من قبل الشيوخ نهارا وليلا ، وعندما ثمل بعض المرتزقة ـ ممن التحقوا بالمدينة ـ في إحدى الحانات أطلق عليهم النار ، وفي إحدى المناسبات حاول الأسقف تقليد تقنيات بوكلسن وأطلق منشورات من فوق الأسوار يعد فيها بأنه إذا استسلمت المدينة سيكون هناك عفو عام ، رد بوكلسن على الفور فجعل قراءة مثل هذه المنشورات خطيئة كبرى .

وكانت هيبة بوكلسن في الذروة ، في نهاية آب ١٥٣٤ ، وصد هجوما كبيرا بفعالية ، حتى أن الأسقف وجد نفسه فجأة مهجورا من قبل كل من أتباعه والمرتزقة ، وكان حسنا لو أن بوكلسن نظم غارة اذ ربما تمكنت قواته من الاستيلاء على معسكر الأسقف ، ولكنه عوضا عن ذلك استغل الفرصة لاعلان نفسه ملكا.

الحكم المسائحي لجون أوف لايدن

إنه ليس كملك عادي بل كمسيح للأيام الأخيرة كان بوكلسن قد فرض نفسه ، وكي يحقق ذلك توسل لوحي إلهي آخر ـ اعتقد أو لم يعتقد فيه ـ وبطريقة أكثر درامية من المعتاد ، ففي بداية أيلول أعلن صائغ من مدينة مجاورة يدعى دوزنتسكر نفسه كنبي جديد ، وفي

احد الأيام أعلن هذا الرجل في الميدان الرئيس أن الأب السماوي قد اوحى له أن بوكلسن سيكون ملكا على العالم كله ، وسيسود على كل الملوك ، والأمراء وعظماء الأرض ، وأنه سيرث الصولجان والعرش الذي كان لجده داود وسيحتفظ بهما حتى يسترد الرب المملكة منه ، وبناء عليه أخذ دوزنتسكر سيف العدالة من الشيوخ وقدمه إلى بوكلسن ، ودهنه بالزيت المقدس ، وأعلنه ملكا على القدس الجديدة ، وسجد بوكلسن وهو يشكو من عدم جدارته ، ودعا الرب أن يهديه في مهمته الجديدة ، ثم توجه إلى الجمهور المحتشد قائلا : « بطريقة مماثلة كان داود ، راعيا متواضعا ، مسحه النبي بأمر من الرب ليكون ملكا لبني اسرائيل ، إن الرب كثيرا ما يفعل بهذه الطريقة ، وكل من يقاوم إرادة الرب يستنزل غضب الرب على نفسه ، لقد أعطيت الآن سلطة على كل أمم الأرض ، وحق استعمال السيف لارباك الأشرار ، ودفاعا عن الصالحين ، فلا تدعوا أحدا في هذه المدينة يلوث نفسه بالجريمة أو يقاوم مشيئة الرب ، وإلا فإنه بلا تأخير سيلقى الموت بالسيف » وتصاعدت همهمة احتجاج من الحشد وتابع بوكلسن : « عار عليكم أن تهمهموا ضد القضاء الالهي للرب ! ومع أنكم ستنضمون معا لمعارضتي ، فإني سأحكم مع ذلك ، رغما عنكم ، ليس فقط في هذه المدينة بل على العالم كله ، لأن الرب هكذا شاء ، ومملكتي التي تبدأ الآن ستدوم ولن تعرف السقوط » ! وبعد ذلك تفرق الناس في صمت إلى بيوتهم ، وللأيام الثلاثة التالية القى الوعاظ موعظة تلو الأخرى أوضحوا فيها أن المسيح الذي تنبأ به الأنبياء في العهد القديم لم يكن سوى بوكلسن .

وفعل الملك الجديد كل مايمكن لتأكيد الاهمية الفريدة لاعتلائه العرش وأعطيت الشوارع والبوابات في المدينة أسماء جديدة ، وابطلت أيام الآحاد والأعياد وأعيدت تسمية أيام الأسبوع على نظام أبجدي ، حتى أسماء حديثي الولادة تم اختيارها من قبل الملك وفق نظام خاص ، ومع أن النقود لم يكن لها عمل في مونستر فقد أوجدت عملة جديدة تزيينية بحتة ، «سكت العملات الذهبية والفضية وعليها نقوش تلخص كل التخيلات الالفية » التي أعطت للمملكة معناها من

ذلك :« لقد أصبحت الكلمة لحما يسكن فينا » ، « ملك واحد فوق الجميع ، رب واحد عقيدة واحدة ، عماد واحد » ، وصمم شعار خاص ليرمز إلى ادعاء بوكلسن بالسيادة الروحية والدنيوية المطلقة على العالم كله كان عبارة عن كرة تمثل العالم يخترقها سيفان (كان يمسك بهما آنذاك البابا والأمبراطور) ويعلوهما صليب حفرت عليه الكلمات : « ملك واحد للصلاح فوق الجميع » ، وكان الملك نفسه يرتدي هذا الشعار ، وقد صيغ من الذهب وكان يتعلق بسلسة من الذهب في عنقه ، وكان مرافقوه يرتدونه كشارة مميزة على اكمامهم ، وكان مقبولا في مونستر كشعار للدولة الجديدة .

وكان الملك الجديد يرتدي حللا فخمة وخواتم وسلاسل ، ومهاميز من أنفس المعادن صاغها أمهر الحرفيين في المدينة وجند علية القوم وتم تعيين نبلاء حملة للسلاح و عينت أرتال من الضباط في البلاط ، وفي كل مرة ظهر فيها الملك على الملا كان محاطا بحاشيته بملابسهم الفخمة ايضا ، وأعلنت ديفارا باعتبارها زوجة بوكلسن الرئيسة ملكة ، وكان ايضا لها حاشيتها (ص ٢٧٣) واحتفظت مثل زوجها ببلاط ، أما الزوجات الأقل شأنا ، ولم تكن أي منهن أكبر من عشرين سنة فقد أصبحن اتباعا لديفارا ، وكان عليهن أن يطعن أوامرها ، ولكن مع ذلك كن يزودن بملابس جميلة ، ولقد كان بلاطا مترفا ضم نحوا من ٢٠٠ ذاك الذي ازدهر في القصور المصادرة من قبل الكاتدارئية .

نصب عرش في ساحة السوق ، زين بأقمشة منسوجة بخيوط ذهبية وارتفع فوق المقاعد المحيطة به ، والتي خصصت لأعضاء المجلس الملكي والوعاظ ، وأحيانا كان الملك يأتي إلى هناك ليجلس للقضاء او ليشهد اعلان القوانين الجديدة ، وكان يعلن عن مقدمه بنفخ الأبواق ساعة وصوله على ظهر حصان ، وهو يلبس تاجه ويحمل صولجانه ، ويسير ضباط البلاط بين يديه ، وخلفه يأتي كنيبر دوليذك ، الذي أصبح الآن رئيسا للوزراء وروثمان الذي أصبح الناطق الملكي ، وخط طويل من الوزراء ورجال البلاط والخدم ،

وكان الحرس الملكي يصحب الموكب ويحميه ويشكل نطاقا حول الساحة اثناء جلوس الملك على العرش ، وعلى كلا جانبي العرش يقف وصيفان ، يحمل أحدهما نسخة من العهد القديم ـ ليبين أن الملك كان خليفة داود ومخولا بسلطة التفسير الجديد لكلمة الرب ـ والآخر يحمل سيفا مجردا .

وبينما كان الملك يتوسع في هذا الطراز الفخم للحياة لنفسه ولزوجاته واصدقائه ، كان يفرض على الجماهير من الناس تزمتا صارما ، وكان الناس بالفعل قد سلموا مايملكونه من ذهب وفضة وخضعوا لمصادرة الاقامة والطعام ، والآن أعلن النبي دوزنتسكور فجأة أنه قد أوحي له أن الأب يبغض كل زيادة في اللباس ، وقننت الملابس والفرش بشدة بناء على ذلك ، وبناء على أوامر الملك توجب تسليم كل فائض تحت طائلة الموت ، وفتش كل بيت وجمعت حمولة ثلاث وثلاثين عربة من فائض اللباس والفراش . ووزع بعضها على الأقل على مايبدو على المهاجرين من هولندا وفريزيا ، وعلى المرتزقة الذين جاءوا من الجيش المحاصر ، ولكن هذا لم يشكل تعزية للمواطنين العاديين في مونستر ، الذين كانوا متأثرين أكثر بالتضاد بين حرمانهم وعوزهم ، والترف غير المحدود للبلاط الملكي .

وادرك بوكلسن أن حتى هيبته الكبيرة لن تضمن بذاتها قبول إذعان المحرومين من المزايا في النظام الجديد ، فاستخدم تقنيات مختلفة ليحتفظ بخضوع الجماهير ، وبلغة جديرة بأي تابع للروح الحرة شرح أن الأبهة والترف كانت مباحة له ، لأنه كان ميتا تماما بالنسبة للدنيا والجسم . وفي الوقت نفسه اكد للعوام من الناس أنه قبل مضي وقت طويل (ص ٢٧٤) سيكونون هم ايضا في الحالة نفسها ، يجلسون على مقاعد من فضة ويأكلون على موائد من فضة ، وسيكو ن تملك هذه الأشياء سهلا لأنها ستكون برخص الطين والحجارة ، وبشكل عام أصبحت النبوءات والوعود الألفية مثل تلك التي أبقيت من قبل المدينة في حالة من الاثارة لمدة تزيد عن عام ، أصبحت الآن تقلق أكثر وأكثر وبشدة أعظم ، وفي تشرين أول

أصدر روثمان نشرتـــه« الرّجـــوع »وفي كانون اول « اعلان الانتقـــام»
وتظهر هذه الوّثـــائق بـــوضوح كاف كيف كان اهـــالي مـــونستر
يشجعون على أن يتنبهوا الى دورهم ومصيرهم.

وفي تلك الأعمال ظهرت التخيلات المتعلقـــة بـــالعصور الثـــلاثة في صورة جـــديدة ، العصر الأول عصر الخـــطيئة وقـــد دام حتـــى الطوفان ، والعصر الثاني كان عصر الاضطهاد والصليب ودام حتى الوقت الراهن ، وقـــدر أن العصر الثـــالث ســيكون عصر الانتقـــام وانتصار القديسين ، وشرح ان المسيح قد حاول مرة أن يرد العـــالم الخاطىء الى الحقيقة ، ولكن بدون نجاح مستديم ، وعلى مدى قرن اضعفت تلك المحاولة من قبل الكنيسة الكاثوليكية ، وتبع ذلك اربعة عشر قرنا من التراجع والخراب ، كانت النصرانية خلالها واقعة بلا حول في الأسر البابلي ، ولكن زمن المحنة الآن قد بلغ نهايته ، وكان المسيح على على وشك العودة ، وفي الاعداد لهذه العـــودة أقـــام اولا مملكته في مدينة مونتسر واقام عليها داود الجديد ، جان بوكلسن وفي تلك المملكة تكون كل نبوءات العهد القديم قد تحققت بشـــكل مســبق وتم تجاوزها ، وتحققت استعادة كل الأشياء ، ومـــن هـــذه المملكة يجب ان يتقدم شعب الرب ، ويستخدم سيف العدالة ليوســـع المملكة حتى تضم العـــالم كله :« حـــظيرة ــ غنم واحـــدة ، وقـــطيع واحد ، وملك واحد » ، وكانت مهمتهم المقدسة هي تطهير العالم من الشر للتمهيد للمجيء الثـــاني :« ان مجـــد كل القـــديسين في شـــفاء الغليل بالانتقام .... الانتقام بلا رحمـــة مـــن كل مـــــن لايحمـــل علامة (القائمين بتجديد العماد) » وفقط عندمـــا يتحقـــق القتـــل العظيم تكون عودة المســيح ، ليتـــولى الحســـاب وليعلن مجـــد كل القديسين ، وعندها حقا تظهر سماء جـــديدة وأرض جـــديدة فيهـــا يتحرر القـــديسون ــ او ابناء الرب ــ مـــن عبـــوديتهم الطـــويلة للأشرار ، ويعيشون دون بكاء وتنهد ، وفي ذلك العالم لن يكون بعـــد الآن اي امـــــراء او لوردات وكل الأشـــياء ســـــــــتكون ملكية مشتركة ، والذهب والفضة والجـــواهر الثمينة لن تـــرضي بعـــد ذلك

غرور الأغنياء ، بل فقط مجد أطفال الرب ، لأن هؤلاء هم الذين كان لهم ميراث الأرض .

وقد دعمت هذه الوعود وصورت بأعمال دراماتيكية مثيرة ، وفي تشرين (ص ٢٧٥)اول أعلن النبي دوزنتسكر فجأة أن بوق الرب سيدوي ثلاثا ، وفي النفخة الثالثة يجب أن يجتمع كل سكان المدينة عند جبل صهيون ،(الاسم المستعار لباحة الكاتدرائية)،وكان على الرجال ان يحضروا وهم مسلحون ولكن عليهم ان يحضروا نساءهم واطفالهم ايضا ، وسيسير اطفال الرب معا الى خارج المدينة وسيكونون موهوبين بقوى فوق الطبيعة حتى ان خمسة منهم يمكنهم قتل مائة من الأعداء وعشرة يمكنهم قتل الف ، وسيهرب العدو امامهم

وهكذا يمكنهم السير وهم منتصرون الى الأرض الموعودة ، وسيعمل الرب على ان لايعانوا من الجوع او العطش او التعب في رحلتهم ، وقد صدحت الأبواق فعلا ، ولكن الذي نفخ فيها هو دوزنتسكر نفسه ، على فترات كل اسبوعين وكان الاخفاق في اطاعة النبي انتحارا ، لهذا عندما دوى البوق للمرة الثالثة جاء كل الناس حتى النساء الذين لديهن اطفال حديثوا الولادة جاءوا الى مكان اللقاء . وجاء الملك ايضا وهو شاكي السلاح على ظهر الحصان ، فكان يرتدي تاجه ومحاطا بحاشيته ، وعين ضباط لقيادة جيش الرب ، ولكن في اللحظة الأخيرة الغيت الحملة فجأة واعلن الملك انه أراد مجرد اختبار ولاء شعبه ، وانه وقد رضي الآن تماما لذلك فإنه يدعو الجميع الى وليمته ، وجلس كل رجل ومعه زوجاته واقيمت وليمة تحت رعاية الملك والملكة الكريمة ، وانتهت باحتفال مناولة ، وزعت فيه ارغفة صغيرة وجرعات من النبيذ من قبل الملك والملكة واعضاء المجلس الملكي ، بينما كان الوعاظ يفسرون معنى هذا القربان ، ثم جاء وقت عشاء الملك والبلاط ، وبعد العشاء تصرف الملك بوحي مفاجيء ، وارسل في طلب اسير من المرتزقة من السجن وقطع راسه .

ارهاب كان لوقت طويل سمة مألوفة للحياة في القدس الجديدة ، وازداد شدة خلال حكم بوكلسن ، وخلال بضعة ايام من اعلانه الملكية ، اعلن دوزنتسكر انه قد اوحي اليه انه في المستقبل ان كل من امعنوا في الخطيئة ضد الحقيقة المعروفة يجب أن يحضروا أمام الملك ويحكم عليهم بالموت ، ويجب استئصالهم من الشعب المختار ، ويجب أن تقتلع ذكراهم ، ولن تلق أرواحهم رحمة بعد القبر ، وخلال يومين بدأت الاعدامات ، وكانت الضحايا الأولى نساء ، قطع رأس واحدة بسبب انكارها حقوق الزوجية على زوجها ، وثانية بسبب زواجها من اثنين ـ لأن ممارسة تعدد الزوجات كان بالطبع امتيازا محصورا بالذكور ـ وثالثة لاهانتها واعظا والسخرية من مذهبه ، وربما حققت هذه الأحكام للملك الجديد أرضاء لساديته كما عملت بالتأكيد على تعزيز هيمنة الذكور على القديسات من الاناث ، ولكن كان للارهاب أهداف أوسع من ذلك ، لقد كان فوق كل شيء سلاحا سياسيا يستعمل من قبل طاغية اجنبي ضد السكان الوطنيين ، وكان بوكلسن يقظا وحذرا في بناء حرسه من المهاجرين ، هؤلاء الناس الذين اما انه ليس لديهم ممتلكات ، او انهم(ص ٢٧٦) تركوها وحضروا الى مونستر فكانوا مخلوقات بوكلسن ، وكانوا يقفون او يقعون معه وطالما انهم كانوا يخدمونه فإنهم كانوا يضمنون التمتع بمزايا هائلة ، فيرتدون حللا فاخرة يمكنهم أن يتباهوا بها على اصحاب الملابس الفقيرة ، وكانوا ايضا يعرفون انه اذا جاء الجوع فإنهم سيكونون هم آخر من يعاني منه ، وكانت اول اعمال الملك مصادرة كل خيل الركوب وتحويل حرسه الى سرايا راكبة ، وكانت هذه السرايا تتدرب علنا ، وكان السكان سريعين في معرفة انها قوة مسلحة يمكن استخدامها ضد العدو الداخلي ، كما يمكن استخدامها ضد عدو من خارج الأسوار .

وبالنسبة للمجتمع المحاصر ككل كان تأسيس الملكية مفجعا بكل طريقة ، وفي حين أن بوكلسن والقادة الآخرين كانوا مستغرقين في

اعداد البلاط الملكي وفي زيادة مزاياهم الخاصة وضمانها فأتتهم اكثر اللحظات مناسبة لشن حرب حاسمة ، فقد صحا الأسقف من هزيمته ، وخلال أسابيع قليلة كانت المدينة محاصرة مرة اخرى ، وفي الوقت الذي دعا فيه دوزنتسكر السكان للسير الى خارج المدينة ، كانت هذه المهمة قد اصبحت عملا انتحاريا ، وقد ادرك بوكلسن هذا جيدا بلا شك : اذ بينما كان يتحدث عن التقدم لغزو العالم أرسل دعاية للقائلين بتجديد العماد في المدن الأخرى بهدف إثارتهم لاغاثة مونتسر ، وفي نهاية المأدبة الكبرى على جبل صهيون ، تلقى دوزنتسكر ايضا وحيا اخر ، خرج نتيجة له هو وستة وعشرين واعظا « كرسل » الى المدن المجاورة ، واثقا من ان اي مدينة سترفض الترحيب بهم سيبتلعها الجحيم فورا ، وتصرفوا بثقة عظيمة ووعظوا بمذهبهم علنا ، وفي البداية أحرزوا بعض النجاح ، ولكن السلطات تدخلت بقوة وقبل مضي وقت طويل أعدم « الرسل » مع العديد من القائلين بتجديد العماد من العناصر المحلية التي رحبت بهم .

وعندما علم بوكلسن بحصر « رسله » تخلى عن العمل العلني لصالح التحريض التآمري ، ويبدو أن كثيرا من الذهب والفضة المصادرة قد جرى تهريبه الى خارج مونتسر وسويسرا ، ولم تعط هذه الخطة نتيجة تذكر ، ولكن في الوقت نفسه هربت الوف من منشورات روثمان الى الخارج ووزعت في هولندا وفريزيا واحدثت هذه الدعاية تأثيرا هائلا وخطط لثورات جماهيرية بين القائمين بتجديد العماد ، وفي كانون الثاني ١٥٣٥ اجتمع الف من القائلين بتجديد العماد مسلحين في اقليم غرونينغن تحت قيادة نبي دعا نفسه « المسيح » ابن الرب (ص ٢٧٧) واعتزم هؤلاء الرجال المسير نحو مونستر باعتقاد ان بوكلسن سوف يأتي للقائهم وان العدو سيهرب عند اقترابه ، وكانت النتيجة هزيمتهم وتشتتهم أمام قوات دوق جلدرلاند ، وفي اذار استولى نحو ٨٠٠ من القائلين بتجديد العماد على دير غرب فريزيا واحتفظوا به في وجه قوة من المرتزقة بقيادة نائب رئيس السلطة الامبراطورية ، ولم يتم القضاء

عليهم الا بعد قصف شديد وهجمات متكررة ، وفي الوقت نفسه أوقفت ثلاث سفن مليئة بالقائلين بتجديد العماد وهي في طريقها صعودا في نهر ايجيسل Ijsel وأغرقت مع شاغليها جميعا ، وفي آذار أيضا تراس أحد القائلين بتجديد العماد من مندن افقر قطاع من السكان وحاول تأسيس قدسا شيوعية جديدة على نموذج مونستر ، وتم التعامل مع هذه الثورة من قبل مجلس المدينة ، الذي هدد باستخدام المدافع ، ولكن في وقت متأخر بلغ أيار ، كان مبعوث من مونستر قادرا على قيادة ثورة في امستردام استولت على دار البلدية ، ولم يتم اخمادها الا بعد قتال مرير ، وكان هدف كل أعمال العصيان هذه هو الذي حدده بوكلسن ، وكان مايزال هو الهدف نفسه الذي الهم هذه الأعداد الكبيرة من الحركات الالفية من حين أيام الرعاة : « قتل كل الرهبان والكهنة والحكام الموجودين في العالم ، لأن ملكنا وحده هو الحاكم العادل » وليس هناك من شك أن ثورات القائلين بتجديد العماد في الشهور الأولى من ١٥٣٥ ربما كانت أكثر خطورة مما كانت لو أن الخطط مع الكثير من اسماء المتآمرين ومواقع اكداس النخيرة ، لم تتعرض للخيانة لدى السلطات في وقت سالف في بداية كانون الثاني ، وهي على اي حال برهان آخر على الاخلاص الذي يمكن للقدس الجديدة ان تحدثه وتحشره بين القائلين بتجديد العماد ، وعامة الناس في شمال غرب المانيا والأراضي المنخفضة .

وفي الوقت نفسه ضاعف الأسقف من جانبه من جهوده لاخضاع المدينة ، وفي نهاية ١٥٣٤ اتفق ممثلون عن ولايات الراين الأعلى والأدنى ، واجتمعوا في كوبلنز Koblenz على الامداد بالقوات والمعدات والتمويل اللازم لجعل الحصار فعالا حقا ، وطوقت مونتسر بالخنادق والتحصينات وبخط مزدوج من المدفعية والفرسان ، وهكذا أصبحت للمرة الأولى مقطوعة تماما عن العالم الخارجي ، وعندما ـ بناء على قرار المجلس التشريعي الامبراطوري المنعقد في ورمز Worms في نيسان ـ تعهدت كل الولايات في الامبراطورية بالاسهام في التمويل لمتابعة

الحصار ، هلكت المدينة بشكل نهائي ولم يعد المحاصرون في حـاجة لهجوم عاصف للاستيلاء عليها ، وبدلا من ذلك ركزوا على تجـويع السكان حتى الموت ، وقد نجحوا في ذلك بقدر كبير ، وبدأ الحصـار في كانون الثاني ١٥٣٥ ، وعلى الفور تقريبا ، تبين العجز في المواد الغذائية ، وبناء على أوامر الملك جرت زيارة اخرى للمنازل من قبل الشماسة وصودرت آخر البقايا الغذائية (ص ٢٧٨)وقتلت جميع الخيول ، ويبدو أن كثيرا من هذا الغذاء حفـظ للبـلاط الملكي الذي قيل انه اكل جيدا في كل الأوقات ، وامتلك مخزونا كافيا من اللحـم والقمح والنبيذ والبيرة تكفي مدة نصف سنة ، ومع أن هذا تـم نفيه فيما بعد من قبل كل من بوكلسن وكنيبردوليذك ، فانه بالتمحيص بدا أن الأدلة كانت ضـدهم ، وبـالتأكيد ان المقننات التـي وزعت على الناس قد استنفدت بسرعة ، وبحلول نيسـان تفشـت المجـاعة في المدينة ، وقتل واكل كل حيوان ـ كلب ، قط ، قنفذ ، وبدأ الناس يأكلون الأعشاب والطحالب والأحذية العتيقة وطلاء الجدران وجثث الموتى .

ولكونه متوجا على هذه المملكة المروعة استخدم بوكلسن باسراف أعظم تقنياته القديمة للهيمنة ، وأعلن انه قـد أوحـي له أن الناس سينجون بحلول عيد الفصح ، واذا لم يحدث ذلك يجب أن يحـرق في ساحة السوق ، وعندما لم يحدث التحرر فسر ذلك بأنه قد تكلم فقط عن الخلاص الروحي ، ووعد بأنه بدلا من أن يترك أطفاله يمـوتون جوعا ، فان الأب سـيحول الأحجـار الى خبـز ، وصـدقه عدد كبير ، وبكوا بمرارة عندمـا وجـدوا ان الأحجـار بقيت احجـارا، واخلاصا لحبه الأول ـ المسرح ـ فقد ابتكر المزيد والمزيد دائما من وسائل الامتاع الخيالية لرعاياه،ففي احـدى المناسـبات اسـتدعى السكان الجـائعين للاشـتراك في ثـلاثة ايام مـن الرقص والسباق ، والرياضة لأن تلك كانت مشيئة الرب ، وقـدمت عروض مسرحية دراماتيكية في الكاتدرائية : كانت محاكاة بذيئة وسـاخرة للقداس ، وأخلاقية إجتماعية على اسس الجشع والترف .

ولكن في هذا الوقت كانت المجاعة تفعل فعلها ، واصبح الموت من الجوع شائعا ، حتى ان الجثث اصبحت تلقى في مقبرة جماعية عظيمة ، وأخيرا في أيار ، عندما اصبح معظم السكان لم يتذوقوا الخبز لثمانية اسابيع ، وافق الملك على ان يترك المدينة الذين يرغبون في ذلك وحتى عندئذ كان يلعن الهاربين ويعدهم بان جزاء عدم اخلاصهم سيكون لعنة ابدية ، لقد كان مصيرهم الأرضي في الواقع مروعا بقدر كاف ، اذا ان اصحاب الأجسام القادرة من الرجال قد وضعوا فورا تحت السيف ، اما بالنسبة للنساء ، المسنين من الرجال ، والأطفال فقد خشي الأسقف ـ وليس بدون تعقل ـ من انهم اذا مروا عبر خطوطه سيثيرون الاضطراب في المؤخرة وطبقا لذلك رفض السماح لهم بالمرور عبر التحصينات ، وعليه فقد هام هؤلاء الناس خمسة اسابيع طويلة في المنطقة المنزوعة السلاح خلف اسوار المدينة ، وهم يتوسلون للمرتزقة ان يقتلوهم ، يزحفون هنا وهناك لأكل العشب كالحيوانات ، ويموتون بأعداد كبيرة حتى فرشت الأرض بالجثث ، وفي النهاية أزال الأسقف الناجين بعد أن استشار حلفاءه ، وأعدم الذين من القائلين بتجديد العماد عن قناعة ونفى البقية الى قرى نائية في الأسقفية ومرات ومرات قذف المحاصرون منشورات الى داخل المدينة(ص ٢٧٩)تعرض العفو العام وجواز المرور للسكان ، اذا هم فقط سلموا الملك وحاشيته ، وتم فعل كل مايمكن للتشجيع على الثورة ضد الملك ، وفي ذلك الوقت كان عامة الناس مستعدين للعمل بهذا الاقتراح لو كان ذلك بامكانهم ، ولكنهم كانوا تماما بلا حول ، وخلال تلك الأسابيع القليلة الأخيرة الأكثر يأسا أظهر بوكلسن كل براعته في فنون الارهاب ، وفي مستهل ايار قسمت المدينة لأغراض ادارية الى اثني عشر قسما على كل قسم عين ضابط ملكي بلقب دوق مع قوة مسلحة من اربع وعشرين رجلا ، وتم اختيار هؤلاء « الدوقات » من بين المهاجرين الأجانب ، وكانوا على الأغلب من الحرفيين البسطاء ، ووعدهم بوكلسن انه عند تحرير المدينة وبزوغ فجر الألفية ، سيكونون جميعا دوقات حقيقيين يحكمون مناطق واسعة من الامبراطورية ، كان قد

حددها من قبل . وربما صدق « الدوقات » ملكهم ، ولكن في حالة اذا ماكان قد داخله شك فقد منعوا اطلاقا من مغادرة قطاعاتهم او مقابلة بعضهم بعضا وقد ثبتوا ولاء كافيا ومارسوا ضد عامة الناس ارهابا قاسيا ، ولمنع اي احتمال لقيام معارضة منظمة فان الاجتماعات حتى بين افراد قلائل باتت ممنوعة بشدة ، واي انسان يعثر عليه وهو يتآمر على مغادرة المدينة ، أو مساعدة غيره على المغادرة أو يوجه انتقادا للملك او سياسته كانت رأسه تقطع على الفور .

و كانت هذه الاعترافات غالبا ما تنفذ من قبل الملك نفسه ، الذي أعلن أنه سيفعل ذلك بكل سرور لكل ملك أو أمير ، و أحيانا كانت الجثة تقطع أرباعا و تسمر الأجزاء في أماكن بارزة للتخدير ، و بحلول منتصف حزيران كانت مثل هذه الاجراءات تحدث يوميا تقريبا

وبدلا من تسليم المدينة ، كان بوكلسن بلا شك ، سيدع كل السكان يجوعون حتى الموت ، ولكن بالنتيجة وصل الحصار فجأة الى نهايته ، فقد هرب رجلان ليلا من المدينة وأرشدا المحاصرين إلى نقاط ضعف معينة في الدفاعات وفي ليلة ٢٤ حزيران ١٥٣٥ اندفع المحاصرون في هجوم مباغت واخترقوا خطوط الدفاع الى داخل المدينة ، وبعد ساعات من القتال اليائس قبل الباقون المائتين والثلاثمائة الأخيرون من القائلين بتجديد العماد عرضا بمنحهم جواز مرور ، ووضعوا اسلحتهم وتفرقوا الى بيوتهم ، فقط ليقتلوا واحدا بعد واحد وحتى آخر رجل تقريبا ، في مذبحة استمرت عدة ايام .

وهلك كل قادة تجديد العماد في مونتسر ، ويعتقد ان روثمان قد مات وهو يقاتل ، وبرفض الملكة ديفارا التنكر لعقيدتها ، قطع رأسها اما بوكلسن فبناء على امر من الأسقف اقتيد بسلسلة بعض الوقت ، وعرض كدب العرض ، وفي كانون الثاني ١٥٣٦ اخذ الى

هـو ونتسر ، وهناك عنب هـ وكنيبردولينك ، وزعماء (هـ ٢٨٠) القائلين بتجديد العماد الآخرين على مراى من الناس حتى الموت ، بمكاو ساخنة حتى الاحمرار وخلال فترة الامهم لم ينبس الملك السالف بصوت ، ولم يأت بحركة ، وبعد الاعدام علقت الجثث الثلاثة من برج كنيسة في وسط المدينة في اقفاص مازالت تشاهد هناك الى اليوم وفي الوقت نفسه عاد الذين هربوا من او طردوا من مونتسر القائلة بتجديد العماد عادوا اليها ، واعيد الأكليروس الى مناصبهم واصبحت المدينة مرة اخرى كاثوليكية رسميا ولكي تحبط اي محاولات اخرى للحكم الذاتي سويت كل التحصينات بالأرض . وفي الصورة السلمية الأصلية ، عاشت فكرة تجديد العماد وحتى يومنا الحالي ، في مجتمعات مثل المنونيت والاخوة الهتريانية وأثرت ايضا على المعمدانيين والكويكرز وبالنسبة لتجديد العماد النضالي ، الحركة التي مثلها مثل كثير غيرها أخذت بالنضال لاقامة الالفية بالقوة ، قد تدهورت بسرعة ، وبدأ في البداية كما لو ان قائدا جديدا في تقاليد ماتيس وبوكلسن قد وجد في جوهان باتنبرغ ، ولكنه أعدم في ١٥٣٧، وبعد ذلك بجيل في ١٥٦٧ ، جمع اسكافي يدعى جان ويلمسن نحو ٣٠٠ من المقاتلين ، وكان بعضهم ممن نجوا من أيام مونتسر ، وأقام قدسا جديدة في وستفاليا ، هذه المرة في المنطقة المحيطة بفيسيل وكليفز ، ومارس هؤلاء القديسون ايضا الزواج المتعدد ــ ويملسن نفسه باعتباره مسيحيا مخلصا كانت له احدى وعشرين زوجة ــ وبطريق تسويغ ممارساتهم أعادوا طباعة رسالة روثمان « الارتداد Restilution » سرا

وعلاوة على ذلك زودت الفوضوية الصوفية للروح الحرة هؤلاء الناس كما سلف لها ان زودت مرة الأداميات البوهميين بمجموعة قوانين مشتركة ، وبادعاء ان كل شيء كان بحق كان ملكا لهم وشكلوا انفسهم في عصابات سطو كانت تهاجم اماكن سكن النبلاء والكهنة وانتهت بممارسة الارهاب الصريح ، وفي المجموع دامت هذه الحقبة اثني عشرة سنة حتى تم اعتقال المسيح واتباعه واعدامهم .

وبحرق ويلمسن في كليفز في ١٥٨٠ آن للقصة التي بدات مع ايميكو أوف لننغن والملك طافور وتانشيلم وايون ان تصل بشكل مرضي الى نهايتها .

خاتمة

كيف كان وضع الحركات التي كنا بصدد دراستها في علاقتها بالحركات الاجتماعية (ص ٢٨١) الأخرى ؟

لقد حدثت في عالم حيث الثورات الفلاحية وأعمال العصيان المدنية كانت شائعة جدا ، وعلاوة على ذلك كثيرا ماكانت ناجحة ، وكثيرا ماحدث ان الثورة والعصيان بين عامة الناس جعلتهم مفيدين جدا وقت الحاجة : يفرضون التنازلات ، ويجلبون مكاسب راسخة من الرخاء والمزايا ، وفي النضال الشاق القديم جدا ضد الاضطهاد والاستغلال لم يشغل الفلاحون والحرفيون من القرون الوسطى دورا خسيسا . ولكن الحركات الموصوفة في هذا الكتاب ليست بأي طريقة نموذجية بالنسبة للجهود التي بذلها الفقراء لتحسين نصيبهم ، وكان المتنبئون ينشئون تقاليديهم الرؤوية من المواد الأكثر تنوعا – سفر دانيال ، وسفر الرؤيا ، ووسطاء السبليذيين ، وتأملات يواكيم فيور ، ومذهب حالة المساواة في الطبيعة – وجميعها مدروسة وقد أعيد تفسيرها وتبسيطها الى مستوى الجمهور ، فتلك المعرفة وجب أن يزود بها الفقراء – والنتيجة ستكون شيئا يكون في الوقت نفسه حركة ثورية وتفجرا لخلاصية ذات مظهر ديني .

ومايميز هذا النوع من الحركات ان أهدافها واولوياتها كانت بلا حدود ، ولم ير النضال الاجتماعي كنضال لأهداف نوعية محدودة ، بل كحدث له أهمية فريدة ، يختلف في نوعه عن كل الصراعات الأخرى المعروفة في التاريخ ، هو طوفان او جائحة يخرج منها العالم وقد تغير تماما واعتق ، وهذا هو جوهر الظواهر

المتكررة ـ او اذا شاء الانسان ، التقاليد الباقية ـ التي اسميناها « الالفية الثورية » .

وكما رأينا مرات ومرات في مجرى هذا الكتاب ازدهرت الالفية الثورية فقط في بعض الحالات الاجتماعية المحددة ، وفي العصور الوسطى لم يكن الناس الذين راقت لهم اكثر لامن الفلاحين المتماسكين بثبات في حياة القرية والضيعة ولامن الحرفيين المتماسكين في نقاباتهم ، وكان نصيب مثل هؤلاء الناس من الدنيا لايتجاوز احيانا الفقر او الاضطهاد ، وفي احيان اخرى الازدهار النسبي والاستقلال وكان هؤلاء ربما يثورون او ربما يقبلون بحالتهم ، ولكنهم اجمالا لم يكونوا ميالين لاتباع احد المتنبئين الملهمين في سعي محموم وراء الالفية ، وقد وجد هؤلاء المتنبئون اتباعهم او بالاحرى حيث وجد السكان (ص ٢٨٢) غير المنظمين المفككين ، والريفيين او المدنيين او كليهما ، وكان هذا بالصحة نفسها بالنسبة لفلاندرز و شمال فرنسا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر كما كان بالنسبة لهولندا ووستفاليا في القرن السادس عشر ، وقد اظهرت البحوث الحديثة ان هذا صحيح ايضا عن بوهيميا في اوائل القرن الخامس عشر ، وقد استمدت الالفية الثورية قوتها من السكان الذين كانوا يعيشون على هامش المجتمع ـ الفلاحين بدون ارض ، او الذين لديهم القليل جدا منها لايكفي لمجرد الاعاشة ، وعمال المياومة والعمال غير المهرة الذين كانوا يعيشون تحت التهديد المستمر للبطالة ، والشحانون والمشردون ـ وفي الحقيقة من جماهير الناس غير المنظمة الذين لم يكونوا ببساطة فقراء ، ولكن الذين لم يستطيعوا ايجاد مكان مأمون ومعترف به في المجتمع بالمرة ، وكان هؤلاء الناس يفتقرون الى المادة والدعم العاطفي الذي تعطيه المجموعات الاجتماعية التقليدية ، وقد تحللت مجموعات النسب الخاصة بهم ، ولم يكونوا منظمين بشكل منهجي للتعبير عن مظالمهم والتأكيد على مطالبهم ، وبدلا من ذلك كانوا ينتظرون متنبيء يجمع بينهم في مجموعة خاصة بهم .

ولأن هؤلاء الناس وجدوا انفسهم في مثل هذا الوضع المكشوف والذي لايمكن الدفاع عنه فانهم كانوا ميالين للاستجابة بحدة لأي تمزيق للنمط الطبيعي المألوف للحياة ومرات ومرات يجد المرء ان تفجرا ثوريا الفيا معينا قد حدث ضد خلفية تنطوي على كارثة : كالأوبئة التي كانت مقدمة للحملة الصليبية الأولى وحركات اللطامين في ١٢٦٠ و ١٣٤٨ ـ ١٣٤٩ و ١٣٩١ و ١٤٠٠ والمجاعات التي تقدمت على الحملتين الصليبيتين الأولى والثانية ، والحركات الصليبية الشعبية في ١٣٠٩ ـ ١٣٢٠ وحركة اللطامين في ١٢٩٦ والحركات حول ايون وبلدوين الزائف والارتفاع المذهل في الأسعار الذي تقدم على الثورة في مونتسر ، وكانت اكبر موجة للاثارة الالفية ، تلك التي حرضت المجتمع كله ، قد اتى قبلها الكارثة الطبيعية الأكثر شمولا في العصور الوسطى ، وأعني بذلك الموت الأسود ، وهنا مرة اخرى استمرت الاثارة في الطبيعة الاجتماعية الأدنى فترة اطول وعبرت عن نفسها بالعنف وبالمذبحة .

ولكن الفقراء وعديمي الجذور لم يهتزوا فقط بهذه الكوارث النوعية او الهيجان الذي اثر مباشرة على نصيبهم المادي ، بل كانوا ايضا حساسين بشكل غريب تجاه العمليات الأقل درامية وان كانت قاسية بالدرجة نفسها ، التي مزقت جيلا بعد جيل ، بالتدريج اطار السلطة الوحيدة التي كانت تحتوي الحياة في العصور الوسطى وبطلباتها حياة كل الأفراد ، كانت هي سلطة الكنيسة ، ولكن سلطة الكنيسة لم تكن حتمية بلا مراجعة ، وقدر بكل تأكيد لحضارة اعتبرت الزهد اكثر العلاقات تأكيدا للنعمة ، ان تشك في قيمة الكنيسة(ص ٢٨٣)وصلاحيتها ، وهي المؤسسة التي كان من الواضح انها مصابة بالبخل والترف ، وقد سببت دينونة الأكليروس مرات ومرات ، خلال النصف الثاني من العصور الوسطى ، نفورا واستياءا بين العلمانيين وقد امتد هذا الاستياء طبعا الى الفقراء ، ولم يكن هناك مفر من ان العديد من الذين كانت حياتهم

محكوما عليها بالمصاعب وعدم الأمن ، سيشكون فيما اذا كان المطارنة والأساقفة الولوعون بالمباهاة ، والكهنة المستهدفون يمكن ان يساعدوهم حقا في الخلاص ، ولكن اذا كان هؤلاء الناس قد انسلخوا عن الكنيسة فانهم قد عانوا ايضا من انسلاخهم ، وظهر الى اي حد احتاجوا للكنيسة ، ظهر في الحماس الذي رحبوا به بكل علامة للاصلاح ولعدم اللهفة التي تقبلوا بها ، لابل حتى هاموا بكل تقشف حقيقي وازداد يأسهم ، وبسبب هذه الاحتياجات العاطفية للفقراء كانت الحركات النضالية الاجتماعية التي درسناها بالوقت نفسه بديلا عن الكنيسة ، وهذه كانت جماعات خلاصية قادها زهاد قاموا بأعمال اعجاز خارقة .

ومثلما امتلكت الكنيسة من سلطات هائلة تعلقت سلطات خارقة للطبيعة مثلها بالملكية الوطنية ، فقد كانت ملكية العصور الوسطى ماتزال الى حد بعيد ملكية مقدسة ، وكان الملك ممثلا للسلطات التي تحكم العالم ، وتجسيدا للقانون الأخلاقي والمشيئة الربانية وضامنا لنظام وصلاح العالم ، وهنا ايضا كان الفقراء هم الذين احتاجوا اكثر لمثل هذه الشخصيات . وعندما نقابل المتنبئين للمرة الأولى ، في الحملة الصليبية الأولى نرى انهم كانوا بالفعل قد اوجدوا ملكيات ضخمة من خياللهم الخاص ، شارلمان المبعوث وأميكو أوف ليغنين الذي جعل امبراطورا ، والملك طافور ، وبالنسبة للفقراء كان أي انقطاع طويل ، او اخفاق ظاهر للسلطة الملكية يجلب كربا شديدا ، كانوا يناضلون للهروب منه ، وكان « الفقراء الذساجون والقصارون » في فلاندرز هم الذين رفضوا قبول الموت في الأسر للكونت بلدوين التاسع ، والذين اصبحوا اكثرا اتباع بلدوين الزائف امبراطور القسطنطينية ، واستلهمت اول حشود الرعاة ، في ١٢٥١ امكانية انقاذ لويس التاسع من أسر العرب ، وفيما بعد بينما نوت الألفية الثورية في فرنسا مع زيادة هيبة الملكية ، عزز التراجع الطويل في المنصب الامبراطوري ، في ألمانيا عقيدة فريدريك مخلص الفقراء في الأيام الأخيرة ، فريدريك المبعوث أو المستقبل وكان آخر امبراطور ملك كل

هالة الملكية المقدسة هو فريدريك الثاني ، ومع موته والتمزيق المميت المعروف باسم فترة خلو العرش العظيمة ، ظهر هناك بين عامة الشعب في المانيا قلق كان له ان يدوم قرونا .

ونجد في سيرة فردريك الزائف في نويس في القرن الثالث عشر (ص ٢٨٤) وفي القصص الشعبية الامبراطورية التي تنامت حول كونراد شمد ، قائد اللطامين في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، وفي نبوءات ادعاءات ثائر الراين الأعلى في القرن السادس عشر ، نجد فيها جميعا شهادة لاتدحض على توفر الفوضى الدائمة والالفية الجامحة التي ازدهرت عليها .

وعندما يصل المرء في النهاية لوراثة مجموعات الالفية الشيوعية الفوضوية التي ازدهرت نحو نهاية العصور الوسطى ، يرى حقيقة واحدة تتضح امامه على الفور : لقد كان دوما ، يظهر وسط بعض الانتفاضات او الثورات الأكثر اتساعا ، في وضح النهار مجموعات الفية من هذا القبيل ، وهذه هي الحال بالذات مع جون بول واتباعه في ثورة الفلاحين الانكليز في ١٣٨١ ، وفي حركة المتطرفين خلال المراحل الأولى من ثورة الهوسية في بوهيميا في ١٤١٩ ـ ١٤٢١ وفي حالة توماس مونتزر و « عصبته من النخبة » في ثورة الفلاحين الألمان في ١٥٢٥ وهو صحيح ايضا بالنسبة للمتطرفين من القائلين بتجديد العماد في مونتسر ، فقد جاء تأسيس قدسهم الجديدة في نهاية سلسلة كاملة من الثورات ، لافي مونتسر فقط بل في كل الولايات الأكليروسية في شمال غرب المانيا ، وفي كل هذه الأمثلة كان العصيان الجماهيري نفسه موجها نحو اهداف محدودة وواقعية ، ومع ذلك في كل مثال كان مناخ العصيان الجماهيري يرعى نوعا خاصا من المجموعات الألفية ، ومع تصاعد التوترات الاجتماعية وشمول الثورة لكامل الأمة كان يظهر في مكان ما على حافة التطرف ، متنبىء مع اتباعه من العالة ، مع قصد تحويل هذا الهيجان الى معركة رؤوية ، وتطهير نهائي للعالم.

تانشليم وإيون قد ادعيا بأنهما ربـان حيان ، واميلكو ليننغـن وبلدرين الزائف ، والفرد ريكيون الزائفون المختلفون يدعون بـانهم اباطرة الأيام الأخيرة ، فإن رجالا مثـل جـون بـول ، ومـارتن هسكا ، وتوماس كونتزر ، وحتى جان ماتيس ، وجـان بـوكلسن كانوا قانعين بأن يكونوا مبشرين وأنبياء للمسيح العائد. ومـع ذلك يمكن اجراء تعميم مؤكد حول المتنبيء كنمط اجتماعي ،فخلافا لقادة الثورات الشـعبية العـظمى ، الذين كانوا عادة مـن الفـلاحين أو الحرفيين ، نادرا ما كان المتنبؤن من العمال اليدويين أو حتى مـن العمال اليدويين السـالفين ، وفي بعض الأحيان كانوا مـن النبـلاء الصغار ، وأحيانا كانوا ببساطة من الدجاجلة ، ولكن ما هو أكثـر شيوعا أنهم كانوا من المثقفين أو انصاف المثقفين ، وكان الكاهـن السالف الذي أصبح واعظا طليقـا اكثـر الانمـاط شـيوعا بين الجميع ، وما اشترك فيه كل هؤلاء الرجال هو اطـلاعهم على عالم الرؤويات والنبوءات الألفية ، علاوة على ذلك إنه كلما أمـكن تتبـع سيرة واحد منهم نجـدهـا تتحـول الى اسـتحواذ للتخيلات الألفية عليه ، قبل وقت طويل ، قبل أن يخطر في باله في ابان بعض الهيجان الاجتماعي ، أن يتحـول الى الفقـراء بـاعتبارهم اتبـاع ممكنين(ص ٢٨٥)٠

ويمتلك المتنبي عادة مؤهلات أخرى: جاذبية شخصية تمكنه مـن الادعاء ، مع بعض الجدارة الظاهرية ، بدورها في جلب التاريخ الى مرحلة الاكتمال المحددة . وكان هذا الادعاء من جانب المتنبيء يؤثر بعمق في المجموعة التي تتشكل حوله . لأن ما كان المتنبيء يقدمه الى اتباعه لم يكن ببساطة فرصة لتحسين نصيبهم ، والهرب مـن القلق الضاغط ، بل كان ايضا وفوق كل شيء الأمل في تنفيذ مهمة مقـدرة من السماء ذات اهمية فريدة في ضخامتها ، وقد أدت هذه التخيلات دورا حقيقيا لهم ، كمهرب من حالتهم المعزولة المشـتتة وكتعـويض عاطفي عن حالتهم المقنطة ، لهذا كانت بسرعة تسـحرهم بـدورهم وتدمجهم فيه ، وما ظهر في حينه كان مجموعة جديدة: ديناميكية غير مستقرة ، ومجموعة قاسية تمـاما ، اسـتحونت عليهـا التخيلات

الرؤوية وشحنتها بالاعتقاد في عصمتها الخاصة ، فوضعت نفسها بمهمتها المفترضة ، واخيرا قد تنجح هذه المجموعة مع أن هذا ليس دائما في فرض قيادتها على الجماهير العريضة المشوشة ، المرتبكة والخائفة.

والقصة المروية في هذا الكتاب انتهت منذ نحو أربعة قرون ماضية ، ولكنها ليست غير ذات موضوع بالنسبة لزماننا ، فلقد اظهر الكاتب الراهن في عمل اخر كيف كانت التخيلات النازيةحول المؤامرة اليهودية للتخريب التي تشمل العالم كله مرتبطة باحكام بالتخيلات التي الهمت افيكواوف ليننغن و استاذ هنغاريا ، و كيف أن التشوش الجماهيري ، و عدم الأمن قد عزز الدور الشيطاني لليهود في هذا كما في قرون كثيرة سلفت .فالتماثل و الاستمرار في الحقيقة محقق قائم .

ولكن المرء قد يفكر ايضا في ثورات الجناح اليساري والحركات الثورية لهذا القرن ، لأنه تماما مثل حرفيي القرون الوسطى الموحدين في نقاباتهم ، اظهر العمال الصناعيون في المجتمعات المتقدمة تقنيا أنهم متلهفون جدا لتحسين أحوالهم الخاصة ، فلقد كان هدفهم العملي البارز هو ضمان حصة أكبر من الرخاء الاقتصادي أو المزايا الاجتماعية ، أو السلطة السياسية ، أو اي جمع بينها ، ولكن التخيلات المشحونة بالانفعالات عن الصراع الرؤوي الأخير ، أو الفية المساواة ، كان لها جاذبية اقل بكثير بالنسبة لهم ، واولئك الذين انبهروا بمثل هذه الأفكار ، هم من جانب أول أفراد مجتمعات معينة متخلفة تقنيا ، وهي ليست فقط مكتظة بالسكان وفقيرة الى درجة تدعو لليأس ، بل أنها ايضا منهمكة في تحول اشكالي نحو العالم الحديث ، وهم بالتالي مشوشون ومضطربون ، ومن جانب أخر هم عناصر معينة هامشية سياسيا في المجتمعات المتقدمة تقنيا ، وبشكل رئيسي من العمال الشباب العاطلين واقلية صغيرة من المفكرين والطلاب.(ص ٢٨٦).

ويمكن للمرء أن يتبين نوعين من الميول المميزة تماما والمتضادة ، فمن جانب كان الناس العاملين في أجزاء معينة من العالم قادرين على تحسين نصيبهم بعيدا عن كل تمييز ، عن طريق وساطة اتحادات العمال والتعاونيات والأحزاب البرلمانية ، ومن جانب آخر خلال ثلاثة أرباع القرن منذ ١٩١٧ كان هناك تكرار مستمر ، وبنسبة متزايدة دوما ، للعمليات الاقتصادية ـ الاجتماعية التي ربطت مرة بين كهنة الطابوريين أو توماس مونتزر والفقراء الأكثر ضياعا ويأسا ، في التخيلات حول الصراع المدمر ضد « العظماء » ، وحول عالم كامل تنتفي منه الرغبات الذاتية والأنانية الى الأبد.

وإذا ما نظر المرء في اتجاه مختلف نوعا ما ، يمكنه أن يجد حتى نسخة حديثة من هذا الطريق البديل الى الألفية في ديانة الروح الحرة ، لأن مثل الانعتاق الكلي للفرد من المجتمع ، وحتى من الحقيقة الظاهرية نفسها ، مثل إذا أراد الانسان القول :نهدف لتأليه الذات التي يحاول بعضهم في هذه الأيام تحقيقها بمساعدة المخدرات النفسية والفعلية ، يمكن التعرف اليها في تلك الصورة المنحرفة لصوفية العصور الوسطى.

لقد استبدلت اللهجة الدينية القديمة بأخرى دنيوية ، وهذا يميل الى أن يعمي ما هو واضح من نواح أخرى ، لأنه بتعرية حقيقة الصدق البسيطة من قداستها الهائلة ، نجد أن الألفية الثورية والفوضوية الصوفية ما زالت معنا.